

سفر
٢٠٢٤

رحلة عبد اللطيف البغدادي في مصر



اشرف على اعداد هذا الطبعة وقدمه لها
د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ



مكتبة
الشيخ
عبد الرحمن

الألف كتاب الثاني

نافذة على الثقافة العالمية

الإشراف العام

الدكتور/ سمير سرخان

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

أحمد صليحة

مدير التحرير

هزن عبد العزيز

مستشار التحرير

علياء أبو شادي

المشرف الفني العام

محسنة عطية

رحلة عبد اللطيف البغدادي
في مصر
أو

كتاب الإفادة والاعتبار
في الأمور المشاهدة والحوادث المفانية بأرض مصر

أشرف على إعداد هذه الطبعة وقدم لها
د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ

الطبعة الثانية



المطبعة المصرية العامة للكاتب

١٩٩٨

هذه طبعة جديدة من كتاب الافادة والاعتبار
فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر
لعبد اللطيف البغدادى . وقد أعدت من الطبعة السابقة
التي أشرف على اصدارها سلامة موسى وتولت طباعتها
المجلة الجديدة ومجلة المصرى .

فهرس

الصفحة	الموضوع
٧	دراسة رحلة عبد اللطيف البغدادي وتحقيق أهم ما ورد بها
٣٣	مؤلفسات البغدادى الأخرى والمراجع التى تناولته
٣٥	من كتاب طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة

المقالة الأولى

	الفصل الأول
٥٥	فى خواص مصر العامة
	الفصل الثانى
٦٠	فيما يختص به من النبات
	الفصل الثالث
٨٠	فيما يختص به من الحيوان
	الفصل الرابع
٨٩	فى اختصاص ما شوهد من آثارها القديمة
	الفصل الخامس
١١٣	فيما شوهد بها من غرائب الأبنية والسفن
	الفصل السادس
١١٨	فى غرائب أطعمتها

المقالة الثانية

	الفصل الأول
١٢٥	فى النيل وكيفية زيادته ونقصانه وقوانين ذلك
	الفصل الثانى
١٣٢	فى حوادث سنة خمس وتسعين وخمسمائة
	الفصل الثالث
١٤٣	فى حوادث سنة ثمان وتسعين وخمسمائة
١٥٣	كشاف

دراسة رحلة عبد اللطيف البغدادي

وتحقيق أهم ما ورد بها

يعد هذا النص الذي بين أيدينا من أهم ما قدمه لنا الرحالة العرب عن مصر ، فهو نص علمي بكل معاني الكلمة ، وترجع أهمية هذه الدراسة التي نقدم بها للرحلة ، الى أنها تعطي لكتابات البغدادي طعما وتقرب معانيه للقارئ المعاصر ، كما تضيء على نص الرحلة أبعادا عميقة في نقاط بعينها كان يمكن أن يمر عليها القارئ العادي مرورا عابرا ، ولم نتعرض في هذه الدراسة لكل ما نريد توضيحه ، وإنما اكتفينا بنقاط جوهرية ، وتركنا الباقي للتعليقات المفصلة التي ذيلنا بها صفحات الرحلة ، وهي تعليقات وشروح تربو على السبعين تعليقا وشرحا .

ويطالع القارئ في هذه الدراسة عن رحلة البغدادي (أنهى كتابتها سنة ٦٠٠ هـ) ، تحليلا لما جعلنا له عناوين فرعية كالتالي :

- المصريين ، أعراقهم وتعدادهم .
- عقيدة الحج الى أهرام مصر .
- لم يرد ذكر للأهرام في التوراة .

- المصريين وأكل لحوم البشر •
- النباتات •
- عن عالم الحيوان في مصر •
- سر اختفاء التمساح •
- البغدادي والوصف الجغرافي •
- مكانة البغدادي بين الرحالة العرب •
- رحلة البغدادي تفسر بعض التعبيرات الشعبية المعاصرة •
- مؤلفات البغدادي الأخرى والمراجع التي تناولته •

المصريون ، أعراقهم وتعدادهم

يورد لنا رحلة البغدادى هذه كثيرا من المعلومات التي نفيدنا في تحديد أعراق المصريين المعاصرين ومعسرفة السماء التي تسرى في عروقهم . فهو عندما يحدثنا عن جفاف النيل أو انخفاض مستوى مياهه انخفاضا هائلا ، وما صاحب ذلك من مجاعة وقحط شديدين حتى أكل بعض الناس بعضهم الآخر ، وأكلوا الميتة حتى صارت رميما ، انما هو في الواقع لا يحدثنا عن المماليك الذين جلبهم بنو أيوب أو بقايا المماليك من عصور سابقة (١) وانما يحدثنا عن المصريين الأصليين ، سواء منهم من صار مسلما أم ظل على مسيحيته ، فهؤلاء هم الذين عز عليهم الطعام ، بالاضافة لمصريين آخرين من أصول حبشية أو سودانية . أما مماليك بنو أيوب وغيرهم ، فقد كانت الأرزاق تصلهم من مناطق العالم الاسلامي غير المكتوبة ومن مخازن ائدولة . لكن كرم الملك المسادل ومماليكه لم يظهر بشكل واضح الا في التبرع بالأكفان ، اذ يذكر لنا ابن تغرى بردى في كتابه الشهير (حسن المحاضرة) أنه كفن في هذه السنة (٥٩٧ هـ) من ماله ٣٠٠٠٠٠ من الغرباء ، والمقصود هنا أهل مصر الذين هربوا من المجاعة الى القاهرة (يستخدم البغدادى لفظ مصر ليقصد به سكان الصعيد والدلتا ، أما القاهرة أو مصر القاهرة فيقصد بها العاصمة - المدينة المعروفة) ووزع بعض ماله على ذوى البيوتات والمساكين .

واذا علمنا أن هذه المجاعة التي خربت بسببها مصر بحيث لم يصبح في قرى باكملها نفس واحدة ، لم تكن هي

(١) لا نقصد كما لا يخفى على فطة القارىء عصر الحكم المملوكي الرسمي الذي بدأ سنة ١٢٥٠ م (القرن الثالث عشر للميلاد) وانما نؤكد هنا ان الوجود المملوكي وانتشار هذا العنصر وحكمهم مصر بشكل غير مباشر يعود على الأقل للقرن التاسع للميلاد .

الوحيدة في التاريخ المصري ، وانما حدثتنا كتب التاريخ بإيجاز عن فحط مشابه سنة ٣٩٠ هـ (الدولة الطولونية) وعن شدة اكلت الأخضر واليابس وراح فيها خلق كثير زمن الدولة الفاطمية عرفت بالشدة المستنصرية - اتضح لنا أن العنصر المصري الأصلي تعرض لهلكة شديدة ، ومع أن البغدادي قدم لنا وصفا مفعما بالحياة للمجاعة الناتجة عن هبوط النيل هبوطا شديدا في أواخر أيام الدولة الأيوبية ، إلا أنه من المفيد ذكر ما أوردته بعض المصادر الأصلية الأخرى ، وقد اخترنا أن ننقل من حوليات ابن تغرى بردى في كتابه (حسن المحاضرة) عن هذه المجاعة ، لأنها ضببت الحوادث بالسنوات بشكل دقيق :

حوادث سنة ٥٩٧ هـ : « وفيها كان هبوط النيل ولم يعهد ذلك في الاسلام الا مرة واحدة زمن الفاطميين ، ولم يبق منه الا شيء يسير وعم الغلاء والوباء بمصر ، فهرب الناس الى المغرب والحجاز واليمن والشام وتفرقوا وتمزقوا كل ممزق .. »

قال أبو المظفر : « كان الرجل يذبح ولده الصغير وتساعد أمه على طبخه ونسيه ، وأحرق السلطان جماعة فعلوا ذلك ولم ينتهوا . وكان الرجل يدعو صديقه وأحب الناس اليه الى منزله ليضيقه فيذبحه ويأكله ، وفعلوا بالأطباء كذلك فكانوا يذبحونهم ليصبروا المرضى فيقتلونهم ويأكلونهم ، وفقدت الميتات والحييف من كثرة ما أكلوها . وكانوا يختطفون الصبيان من الشوارع فيأكلونهم . وكفن السلطان في مدة يسيرة مائتي ألف وعشرين ألفا ، وامتلأت طرق المغرب والمشرق والحجاز والشام برمم الناس ، ووصل الى امام جامع الاسكندرية في يوم ما يزيد على ٧٠٠ جنازة . وقال العماد الكاتب الأصبهاني : وفي سنة ٥٩٧ هـ : اشتد الغلاء وامند البلاء وتحققت المجاعة وتفرقت الجماعة وهلك القوى فكيف الضعيف ! ونحف السمين فكيف العجيف ! وخرج الناس حذر الموت من الديار ، وتفرق فريق مصر في الأمصار ، ولقد رأيت الأرامل على الرمال ، والجمال باركة تحت الأحمال ، ومراكب الفرنج واقفة بساحل البحر على اللقم ، تسترق الجبايع باللقم .. »

قال : وجاءت في سبعين زلزلة هائلة من الصعيد هدمت بنيان مصر ، فماتت تحت الهدم خلق كثير ، ثم امتدت الى الشام والساحل فهدمت مدينة نابلس فلم تبق منها جدارا الا حارة السمرة (السمرة والسامرة قوم من اليهود من قبائل بنى اسرائيل يخالفون اليهود في بعض أحكامهم كانوا يكرهون نبوة من جاء بعد موسى عليه السلام وقولهم لا مساس وزعمهم أن نابلس هي بيت المقدس) وماتت تحت الهدم ٣٠٠٠٠ وهدمت عكا وصور وجميع فلاع الساحل وامتدت الى دمشق فسقط بعض المنارة الشرقية بجامع دمشق ، واكثر الكلاسة والبيمارستان النورى ، وعامة دور دمشق الا القليل ، فهرب الناس الى الميادين وسقط من الجامع ست عشرة شرفة وتشققت قبة النسر (قبلي جامع دمشق) .

أمر النيل سنة ٥٩٨ :

الماء القديم ذراع واحدة واربعة عشرة اصبعاً . مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعاً وثلاث وعشرون اصبعاً . ومن الأمور التي تسترعى الاهتمام أن البغدادي ميز لنا بين طعام العوام (المصريين الأصليين) وطعام الخواص (المماليك والرؤساء) فالأطعمة التي تدخل فيهما المثلوم بشكل واضح خاصة ما يسمى (رغيف الصينية) المحشو باللحم المدقوق واللوز والفستق والسكر وماء الورد والمقلو بزيت السيرج . الخ هي من أطعمة الخواص .

أما العوام فيأكلون الملوحة (يسميها البغدادي الصحناء) والخبز والتين الشوكي (يسميه البغدادي الصبر بكسر الصاد) وينسربون البطيخة ، ويأكلون فيران الغيط (نوع من الأرناب ويسمونها الفيران البيضاء) ، ويصنعون من البطيخ الأخضر نوعاً من النبيذ .

عقيدة الحجج الى أهرام مصر

عندما يقول لنا البغدادي ، انه قرأ في بعض كتب الصابئة القديمة « أن أحد هذين الهرمين هو قبر غاذيمون والآخر هو قبر هرميس ويؤمنون أنهما بنيانان عظيمان وأن

غاذيمون (أو اغاذيمون) أقدام وأعظم ، وأنه كان يحج إليهما ويهوى نحوهما من أقطار الأرض ٠٠٠ » ٠٠ أقول اننا عندما نستمع الى ذلك من البغدادي بالذات ، فلا بد أن نتنبه ونتوقف لأن البغدادي ولد في بغداد وعاش شطرا كبيرا من حياته فيها ، حيث طوائف الصابئة التي كان لها وجود على أيامه ، بل ولا زالت موجودة حتى الآن ٠ وقد أوردنا نقولا طويلة في الحاشية تعليقا على ذلك من كتاب ابن حزم الظاهري فليرجع إليها من يشاء ، أما هنا فلا بد أن نذكر اننا نلمح شيئا فعلا بين الحكم المنسوبة الى هرميس ، والحكم التي تطالعنا في الكتب التي تتعرض لحكم الفراعنة ونصائحهم ٠ وقد جعل الشهرستاني في كتابه الشهير (الملل والنحل) الصابئة كأصحاب عقائد مقابلين للحنفاء (الموحدين الأوائل) وأجرى بين الطائفتين حوارا طويلا ٠ والطريف أن الشهرستاني نفسه يذكر لنا أنه لا يستطيع أن يقول كل ما يعرفه عن هرميس والصابئة والحنفاء ، فيذكر لنا عبارة غامضة تؤثر نقلها كما هي :

« وكان في الخاطر بعد زوايا نريد نملئها ، وفي القلم خفايا أكاد أخفيها ، فعدلت عنها الى ذكر حكم هرمس العظيم ، لا على أنه من جملة فرق الصابئة ، حاشاه ، بل على أن حكمه مما تدل على تقرير مذهب الحنفاء في اثبات الكمال في الاشخاص البشرية ، وايجاب القول باتباع النواميس الالهية ، على خلاف مذاهب الصابئة » (١) ٠

لكن الصابئة أنفسهم يعظمون هرميس وينسبون اليه ، بصرف استنار عن نول الشهرستاني الذي اعترف هو نفسه أنه لا يستطيع أن يصرح بكل ما عنده ٠ ومن حكم هرميس (أو هرمس) ما يتجلى من خلال حواراته التالية :

« ٠٠ سئل : بماذا يحسن رأى الناس في الانسان ؟ قال : بان يكون لقاؤه لهم لقاء جميلا ، ومعاملته اياهم معاملة حسنة ٠

(١) الشهرستاني ، أبو الفتح محمد ، الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٤٤

(طبعة دار المعرفة - بيروت) ٠

وقال : مودة الاخوان أن لا تكون لرجاء منفعة ، أو لدفع
مضرة ، ولكن لصالح فيه ، وطباع له •

وقال : أفضل ما فى الانسان من الخير العقل • وأجدر
الانبياء أن لا يندم عليه صاحبه : العمل الصالح • وأفضل
ما يحتاج اليه فى تدبير الأمور الاجتهاد ، وأظلم الظلمات
الجهل • وأوثق الاسار الحرص •

وقال : من أفضل البر ثلاثة : الصديق فى الغضب ،
والجود فى العسرة ، والمفو عند المقدرة •

وقال : من لم يعرف عيب نفسه ، فلا قدر لنفسه
عنده •

وقال : الفصل بين العاقل والجاهل : أن العاقل
منطقه له ، والجاهل منطقته عليه •

وقال : لا ينبغي للعاقل أن يستخف بثلاثة اقوام :
السلطان ، والعلماء ، والاخوان • فان من استخف بالسلطان
أفسد عليه عيشه ، ومن استخف بالعلماء أفسد عليه دينه ،
ومن استخف بالاخوان أفسد عليه مروءته •

وقال : الاستخفاف بالموت أحد فضائل النفس •

وقال : المرء حفيظ له أن يطلب الحكمة ويثبتها فى نفسه
أولا ، بأن لا يجزع من المصائب التى تعم الأخيار ، ولا يأخذ
الكبر فيما يبلغه من الشرف ، ولا يعير أحدا بما هو فيه ،
ولا يغيره الغنى والسلطان ، وأن يعدل بين نيته وقوله حتى
لا يتفاوت ، وتكون سنته ما لا عيب فيه ، ودينه ما لا يختلف
فيه ، وحجته ما لا ينتقض •

وقال : أنفع الأمور للناس المناعة والرضى • وأضرها
الشره والسخط • وانما يكون كل السرور بالقناعة والرضى ،
وكل الحزن بالشره والسخط •

ويحكى عنه فيما كتبه : أن أضل الضلال والهلكة ، لأهله ،
 أن يعد ما في العالم من الخير من عطية الله عز وجل ومواهبه .
 ولا يعد ما فيه من أشر والفساد من عمل الشيطان ومكايده .
 ومن افتنى على أخيه ثرية لم يخلص من تبعثها حتى يجازى
 بها . فكيف يخلص من أعظم القرية على الله عز وجل أن يجعله
 سببا للشور وهو معدن الخير ؟

وقال : الخير والشر واصلان الى أهلها لا محالة .
 فطوبى لمن جرى وصول الخير اليه وعلى يديه ، والويل لمن
 جرى وصول الشر اليه وعلى يديه .

وقال : الاخاء الدائم الذي لا يقطعه شيء اثنان ، أحدهما
 محبة المرء نفسه في أمر معاده ، وتهذيبه اياها في العلم
 الصحيح والعمل الصالح . والآخر : مودته لأخيه في دين
 الحق ، فان ذلك مصاحب أخاه في الدنيا بجسده ، وفي
 الآخرة بروحه .

وقال : الثضب سلطان الفظافة ، والحرص سلطان
 الفاقة ، وهما منشأ كل سيئة ، ومفسدا كل جسد ، ومهلكا
 كل روح .

وقال : كل شيء يطاق تغييره الا الطباع ، وكل شيء يقدر
 على اصلاحه غير الخلق السوء ، وكل شيء يستطاع دفعه
 الا القضاء .

وقال : الجهل والحمق للنفس بمنزلة الجوع والمعش
 للبدن ، لأن هذين خلاء النفس ، وهذين خلاء البدن .

وقال : أحمد الأشياء عند أهل السماء والأرض : لسان
 صادق ناطق بالعدل والحكمة والحق في الجماعة .

وقال : أدحض الناس حجة من شهد على نفسه بدخوض
 حجتته .

وقال : من كان دينه السلامة والرحمة والكف عن الأذى ،
فدينه دين الله عز وجل وخصمه شاهد له يفلج حجته ، ومن
كان دينه الاهلاك والفظاظة والأذى ، فدينه دين الشيطان ،
وهو بدحوض حجته شاهد على نفسه .

وقال : الملوك تحتمل الأشياء كلها الا ثلاثة : قدح في
الملك ، وافشاء للسر ، وتعرض للحرمة .

وقال : لا تكن أيها الانسان كالصبي اذا جاع ضغا (١) ،
ولا كالعبد اذا شبع طغى ولا كالجاهل اذا ملك بغى .

وقال : لا تشيرن على عدو ولا صديق الا بالنصيحة .
فأما الصديق فتتقضى بذلك من واجبه حقه ، وأما العدو فإنه
اذا عرف نصيحتته اياه هابك وحسدك . وان صحح عقله
استنحى منك وراجعك .

وقال : يدل على غريزة الجود السماحة عند العسرة ،
وعلى غريزة الورع الصدق عند الشره ، وعلى غريزة الحلم
العفو عند الغضب .

وقال : من سره مودة الناس له ، ومعونتهم اياه ،
وحسن القول منهم فيه حقيق بأن يكون على مثل ذلك لهم .

وقال : لا يستطيع أحد ان يتجاوز الخير والحكمة ، ولا أن
يخلص نفسه من المأايب الا أن يكون له ثلاثة أشياء : وزير ،
وولي ، وصديق . فوزيره عقله ، وولييه عفته ، وصديقه عمله
الصالح .

وقال : كل انسان موكل باصلاح قدر باع من الارض ،
فانه اذا اصلح قدر ذلك الباع صلحت له أموره كلها ، واذا
أضاعه أضاع الجميع ، وقدر ذلك نفسه .

(١) ضغا صاح .

وقال : لا يمدح بكمال العقل من لا تكمل عفته ، ولا بكمال العلم من لا يكمل عقله •

وقال : من أفضل أعمال العلماء ثلاثة أشياء : أن يبدلوا العدو صديقا ، والجاهل عالما ، والفاجر برا •

وقال : الصالح من خيره خير لكل أحد ، ومن يعد خير كل أحد لنفسه خيرا •

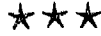
وقال : ليس بحكيم ما لم يعاد الجهل • ولا بنور ما لم يمحق الظلمة • ولا بطيب ما لم يدفع التتن ، ولا بصالح ما لم يدحض الكذب ، ولا بصالح ما لم يخالف الطالح • •

ويعد الشهرستاني طوائف عديدة للصائبة ولا يجعلهم فرقة واحدة ، فمنهم أصحاب الهياكل ، والمقصود الهياكل التي يشيدونها للكواكب السيارة ، وقد اهتموا اهتماما شديدا بالصور والتماثيل والأيقونات التي ترمز لأرباب بعينها ، أما الله سبحانه فيسمونه رب الأرباب أو اله الآلهة ، ومنهم أصحاب الأشخاص الذين أقاموا الهياكل لكن ليس للكواكب ، وإنما لأشخاص يقربونهم لرب الأرباب •

وقد أوردنا فيما سبق مقتبسات طولا تنسب لهرمس (هرميس) الحكيم الذي يوقره الصائبة ، الذين لا زالوا - كما سبق القول - يحتلون مكانهم على الخريطة الدينية للعالم ، والذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم في قوله تعالى :

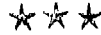
« ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (١) وإشارة القرآن الكريم هذه تدل على أن الصائبة كانوا في وقت من الأوقات من أصحاب المعتقدات الصحيحة ، ثم تلوذت معتقداتهم بالشرك وعبادة الكواكب وعبادة الأوثان •

ولعلنا نكون قد ففتحنا بايرادنا هذه النصوص في هذا السياق بابا للمهتمين بدراسة العقائد المرتبطة بأهرام مصر ، وفتحنا بابا آخر للربط بين المصادر الاسلامية والمصادر الاثرية في هذا الموضوع المهم ، الذى لا نستطيع أن نبت فيه وانما امر ذلك لمن هو اذق تخصصا واعمق نظرة .



ويحدثنا قاموس الكتاب المقدس فى مادة هرماس أنها صيغة من صيغ الاله هرميس . وقد ورد كاسم لأحد سكان روما المسيحيين ، أرسل اليه بولس سلامه ، بل تعد نسب اليه الأبناء الأولون تنمياً لسمي الميراثى براعى هرماس الذى يحتوى على رؤى وأمثال ووصايا ٠٠ ونقرأ فى مادة هرمس فى القاموس نفسه أن بولس وبرنابا عندما عملا بعض العجائب (المعجزات) ، ظنهما الناس الالهين التائهيين هرمس وزفس وقدم الشعب اليهما الذبائح ، الا أن بولس نهاهم عن ذلك وأكد انها بشر مثلهم .

نحن اذن ازاء شخصية وردت فى التراث الاسلامى ، ولها وجود فى التراث المسيحى ، كما أنها مجور عقائد الصابئة ، وهى فى الوقت نفسه مرتبطة بالأهرام . انها بالتأكيد شخصية يمكن استثمارها والاستفادة منها وتسويقها ، وبت الافكار حولها ، وجلب المنافع منها ، وكذلك يفعلون .



لم يرد ذكر للأهرام فى التوراة

ويقول لنا البغدادي ما نصه : « ٠٠ واعلم أن الأهرام لم أجد لها فى التوراة ذكرا ولا فى غيرها ولا رأيت أرسطو ذكرها ٠٠ » ، وقد أردنا التحديق من هذا فراجعنا العهد القديم

كله واستعنا بقاموس الكتاب المقدس (١) فكشفنا في حرف الهاء (هوم) وفي حرف الألف (أهرام) ، فلم نجد لأى منهما ذكرا ، فكيف إذن بنوه أو شاركوا في بنائه (٢) !؟

أكل لحوم البشر

« يجب أحذكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه »

مرت البشرية في مرحلتها البدائية بأكل لحوم البشر ، بمعنى أن الجماعة البدائية كانت تعكف على جثة المتوفى القريب أو الحبيب أو الغريب ، فتأكله ميتا بعد طبخه أو بدون طبخ ، وفي حالة وقوع الحروب أو المناوشات أكل المنتصرون أعداءهم المهزومين بعد قتلهم أو خنقهم أو شرب دمه . . . وشاع هذا عند حدوث المجاعات أو قلة الطرائد الحيوانية . لكن الانسان بعد أن تدرج في سلم الرقى والحضارة أدرك بشاعة ذلك ، فاليهودية قد وقرت الانسان لأن الله سبحانه - فيما تقول التوراة - خلقه على مثاله ، والمسيحية جعلت للانسان قيمة عالية ، وكان « لابن الانسان » فيها مكانة وأى مكانة . واحترام الاسلام للانسان وتوقيره له ، مسألة معروفة مطروقة - وكانت مصر مسرحا لهذه الأديان جميعا : شهدت دعوة موسى ، وسرفت بوصول المسيح وأمه إليها ، وكان لها في الاسلام دور وأى دور ، كما تدرجت مصر في سلم الحضارة درجات عالية حتى قبل الأديان السماوية ، ومن هنا لما ذكره البغدادي عن نسوع أكل لحوم البشر أثناء المجاعة التي حلت بمصر في الثمانين الأخيرة من القرن السادس الهجري / الثاني عشر للهـ لاد - مسألة في حاجة الى تفسير ، كما أنها ذات دلالات على التركيب السكاني في مصر في هذه الفترة .

(١) هيئة تحريره . د . بطرس عبد الملك ، د . جون الكسادار
طهسون ، وابراهيم مطار .

(٢) أشار البغدادي لخلو التوراه من ذكر الأهرام في آخر القبل
الخامس ، المقالة الأولى .

لقد قدم لنا البغدادي صورة بنسبة عن امرأة تأكل
فخذ زوجها ميتا ، وآخرين يتنازعون وليسدا « لحيما » أى
سمينا ، وعن جماعة يطبخون الاعضساء الآدمية ، ويحدثنا
أن عقاب من كان يفعل ذلك هو الحرق ، وبذلك ينسوى
فيجتمع على جثته المنسوية خلق ياكلونه ، وبذلك يصبح الأكل
ماكولا . الخ . وفى الوقت نفسه ، فان البغدادي يقدم لنا
اشارات تعيننا على فهم ذلك ، فهو يذكر أن امرأة « تجسرية »
فعلت ذلك ، وقبائل التجريين أو التجرانين Tigre
هى قبائل سوداء من أطراف الحبشة . ولم يقم البغدادي
بدور الأنثروبولوجي فيعين لنا أعراق من فعلوا ذلك ، ولو أنه
فعل لأرحنا وفسر لنا كثيرا مما غمض علينا .

وفى سياق آخر يحدثنا عن امرأة من « الأجنلا » ذات
مال ويسار كان زوجها غائبا فى الخدمة ، ويتضح من الاسم
« اجنلا » أيضا أن المرأة ذات اسمسول تعود بها الى شرق
أفريقيا أو وسطها ، ولا يبعد أن تكون من قبائل الجلا
Tala ، وذكر البغدادي أن زوجها كان غائبا فى
الخدمة تعنى أنه كان من حرس الحدود مثلا أو من العاملين
فى الخدمات المساعدة للجنودية . الخ .

وإذا علمنا أن هذه الجماعة المصحوبة بالأوبسة رغم
فتاعتها (لدرجة أنها تركت قرى كاملة خالية من أى بشر)
لم تكن هى الأولى من نوعها فى التاريخ الإسلامى على الأقل
كما أسرنا فى موضع آخر من هذه الدراسة ، لنتضح لنا أن
مصر كانت فى وضع يسمح لها باستقبال هجرات من الجنوب ،
سواء على شكل نسيل ارادى سلمى أو على شكل استعجاب
رقيق . وقد أحضر هؤلاء معهم تراث الثقافة البدائية بها فى
ذلك أكل لحم البشر ، لكن هذا على أية حال سرعان ما تلاشى
بفعل التأثيرات الحضارية والدينية المصرية العريقة ، ومع
هذا فقد ظل هذا مخزونا فى اللغة والتعبيرات ، فالحديث عن
بلاد « نمم » ظل يتردد فترة طويلة على لسان الأهمات
والجدات ، والتعابير من نساء سوداوات لهن ذبول ظل
يتكرر فى بعض البيئات ، وبعض الاخوة فى السودان فى بعض
البيئات إذا اثرت سخطه ، هددك بأن ياكلك « هاكك والله ،

هاكلك « ولا شك أن أحد المسؤولين الكبار سمع من جدته أو أمه - وكانت من وسط أفريقيا - أنه إن ارتكب خطأ فإنها « ستفرمه » وتجعله « كفتنة » ، ومن هنا فقد استخدم هذا المسئول التعبير نفسه في إحدى المناسبات ، وهو تعبير مخزن يعود إلى قبائل وسط أفريقيا .

وقد ظل انكار وجود ظاهرة « أكل لحوم البشر » بين القبائل الأفريقية مسألة بدت ضرورية خاصة في مرحلة التحرر الأفريقي ، لكن الحقيقة أن هذه الظاهرة كانت قائمة لتشير إلى مرحلة مرت بها البشرية ، وأنها - أي هذه الظاهرة - بدأت تتلاشى رويدا رويدا . إلى أن انتهت . وقد حدثنا الرحالة فارتيمما (الحاج يونس) عن هذه الظاهرة نفسها في بعض مناطق جنوب شرق آسيا ، وقد تمت الرحلة في أواخر القرن الخامس عشر وبدايات السادس عشر للميلاد .

ويحدثنا البغدادي عن ظاهرة بشعة أخرى شاعت أثناء هذه الشدة أو المجاعة الكبرى ، وهي بيع الأحرار ، ويذكر أن سفن الأجانب كانت تفترب من السواحل المصرية لتشتري « الأحرار » بالنسيء القليل ، وعرضت امرأة بائسة ابنتها الجميلة على البغدادي ليشتريها فافتأها بأن ذلك « حرام » ، فقالت له اذن خذها « هدية » . ويبدو أن الرجل قد قبل « الهدية » ولم يدفع شيئا ، لأنه لو دفع لكان ذلك « حراما » وأم يذكر لنا البغدادي أنه رفض الهدية .

وفي هذه الظروف كثر القوادون ، وحقق كثيرون ثراء لا يدري أحد مصدره .

ولم يكن غريبا أن الفصل الخاص بالنبات وهو الفصل الثاني من المقالة الأولى ، من أكثر فصول الكتاب تفصيلا وتحليلا ، فعبد اللطيف البغدادي طبيب في المقام الأول ، وكانت معرفة الطب حتى عصر البغدادي (القرنين : ٦ و ٧ هـ ، ١٢ و ١٣ م) مرتبطة بعلم الأقرباذين أو علم الصيدلة ، وهذا العلم مرتبط بدوره بالنبات الذي منه معظم الدواء . وقد وصف البغدادي معظم ما رآه من نبات وصفا مباشرا فحدثنا

عن البذور والجدور والسوق والأوراق ، وما إذا كان نباتا يؤكل أم أنه للتداوى أم أنه للأكل والتداوى معا ، وحدثنا عما يستخدم منه للزينة * .

لكن البغدادي قدم لنا أيضا معلومات عن النبات ، نقلها من المصادر العربية أو اليونانية أو اليهودية فقد نقل عن كتاب (المستغنى) وهو كتاب في الأدوية المفردة مؤلف عرف بالاسرائيلي ، وهو مؤلف يهودي اهتم بالطب والصيدلة والنبات ، وقد استمد عليه محمد بن محمد الأندلسي الشهير بالادريسي (١) بالإضافة الى مصادر أخرى في كتابه : (الجامع لصفات اشجار النبات) ، فقد أشار الادريسي للمؤلفين الآتى ذكرهم ، وكلهم حقق سهرة في هذا المجال ، وأشار الى بعضهم عبد اللطيف البغدادي في أكثر من موضع :

- كتاب ستيغن في المفردات (مفردات النبات) *
- كتاب جالينوس في المفردات *
- كتاب الأدوية المفردة لحنين بن اسحق *
- الفائدة لابن سيرامون *
- النبات لابن جلجل *
- كتاب الأدوية المفردة لخلف بن عباس الزهراوي *
- كتاب المستغنى للاسرائيلي *

وليس أدل على أهمية اشارات البغدادي للنباتات المختلفة من أن ابن البيطار المتوفى سنة ٦٤٦ هـ قد اعتمد عليه بالإضافة لاعتماده على المصادر اليونانية ، وكتاب ابن البيطار مشهور معروف به علامة بارزة في تاريخ علم النبات وعلم الصيدلة وعلم الأعطية على سواء * وقد اعتمد

(١) ولد بسبته ٤٩٣هـ/١٠٩٩م * تلقى العلم في قرطبة واستقر زمانا في بلاط الملك النورماندي روجر الثاني في بارمو بصقلية ، ولذلك سمي بالصفلي * من كتبه أيضا : « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » ، وكتاب « المسالك والممالك » *

ابن البيطار (١) - كما اعتمد البغدادي من قبله - على المشاهدة والملاحظة والتجربة بالإضافة للمنقل والسماع *

وقد سمع عبد اللطيف البغدادي من بعض أهل البلاد أحاديث عن النباتات لم يهد هناك شك في خطئها ومع ذلك ، بعد خضعت مثل هذه المعلومات الخاطئة لتحليلات عميقة ، فبعد أن شرح البغدادي لنا شيئا كثيرا عن نبات القلقاس ، وعن النخيل ذكر لنا أن شجرة الموز هي عوان بين القلقاس والنخيل ، وأن بعض الناس أخبروه أنه اذا وضع نواة البلح في قلب قلقاسة وزرعها أثبتت موزا ، وهذا بالتأكيد خطأ لا جدال فيه ، وكان ينبغي أن يتوثق منه البغدادي ، وقد استبعد الرجل ذلك بالفعل ، لكنه راح يعقد مقارنة بين شجرة الموز ، وبين النخلة وشجرة القلقاس معا ، فخلص الى أن شجرة الموز بالفعل عوان بين الشجرتين ، وكان تحليله ممتعا *

ومن استنتاجاته الخاطئة أيضا أن الزنجبيل هو القلقاس ، لكنه في اليمن يكون زنجبيلاً حرارة الجو ، وفي مصر فلفاس لرطوبة الجو ، وذكر أن القلقاس اذا لم يطبخ كان فيه حرارة كحرارة الزنجبيل يحس المرء لسعها في الحلق * وقد اعتمدنا في تحقيق أسماء النباتات الواردة في هذا الفصل على جملة مراجع منها :

- معجم المصطلحات العلمية والفنية (ماخذه باللغة العربية) الذي أعده يوسف خياط وأحدثه بطبعته المعدله للسان العرب لابن منظور (أعاد ترتيبه وفقا لأوائل الكلمات) *

- معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية *

- راجعنا في بعض المواد مثل (قرظ) و (عفص) تذكرة داود الأنطاكي (مرتب هجائيا) ، وهو « تذكرة أولى

(١) عبد الله بن أحمد بن البيطار صاحب كتاب (الجامع لفردات الأدوية والأعذية) عناب معروف ، أندلسي مالمقى ، توفي سنة ٦٤٦ هـ وقد ألف كتابه هذا ركائف من الملك صالح نجم الدين أيوب ، مرتبا حسب حروف المعجم *

الألباب الجامع للعجب العجيب « طبعة القاهرة - مكنية
التعريفه الأديبيه • جزءان فى مجلد واحد وبآخره ذيل التذكرة
لأحد تلاميذ المؤلف • لكننا لم ننقل فى تعليقاتنا كل ما ورد
فى هذه التذكرة واكتفينا بما هو متفق مع معجمى الشهابى
وخياط ، ومن أراد مزيدا من التفاصيل فعايه مراجعته •

عن عالم الحيوان فى مصر

ويتعرض البغدادى فى الفصل الثالث من المقالة
الأولى لحيوانات مصر ، وهو لا يقدم فى هذا الفصل عرضا
مفصلا (الى حد ما) كما فعل فى فصله المتعلق بالنبات ،
وانما هو يورد قليلا من الامنه ، على انه افاض فى الحديث
عن الترفيد - أى عملية تفتيس الكتاكيت فى المراقب بطرائق
صناعية مختلفة - عن ترك البيض تحت الدجاج حتى يفسد •
وهى عملية - فيما يبدو - اقتص بها المصريون ، وظلت تثير
عجب الرحالة حتى القرن السابع عشر للميلاد : فنحن نجد
الرحالة الأبريطانى جوزيف بيتس الذى تسمى باسم الحاج
يوسف يذكر لنا :

« •• وللمصريين طريقة طريفة فى تفتيس الكتاكيت ،
وقد يظن بعض من يقرأ كلامى أننى أروى خرافة ، ولكننى أؤكد
أننى رأيت ذلك بنعسى وأن ما أرويه حقيقى • فلدى المصرى
مكان محفور تحت الأرض لا يبعد فى شكله عن الفرن وقد
فرتس قاعه بالقش ، يضع فيه بضعة آلاف من البيض متراكمة
بعضها الى جوار بعضها الآخر وفوق بعضها ، ويتركها
لتنفس بفعل حرارة الشمس دون الاستعانة بدفء دجاجات ،
أو دفء أى كائن منتج آخر ، فاذا ما فقس البيض وظهرت
الكتاكيت يبيعونها للفقراء بالكيل ••• » (١) • لكن البغدادى

(١) بيتس : جوزيف ، رحله الى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنوره
القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - سلسلة الألف كتاب الثانى -

كان أكثر دقة من بيتس في وصف هذه المراكب ، فراح يصفها بالتفصيل مؤكداً أن تصميمها من الداخل يحاكي شكل الدجاجة .

الحمار المصرى الأصيل

ويتعرض البغدادي في عجالة وفي جمل قصار لخيول مصر . ويستتوقفنا ما أورده عن الحمارة فهو يقول ، ان حمير مصر فارهة جدا وتركب بالسروج وقد تسبق في جريها الخيول والبغال النفيسة .

ولعل لذلك سياقاً تاريخياً قد يكون من المفيد ذكره ، ذلك أنه في بعض مراحل التاريخ جرى تحريم ركوب الخيل على غير المسلمين ، كما جرى تحريم البسة معينة ، ولم يكن ذلك في الواقع الا لأسباب متعلقة بالأمن الداخلي في فترة كان من الضروري التمييز فيها بين العناصر العسكرية والعناصر المدنية . وبصرف النظر عن تفسير ذلك ، فالهم هنا أن نذكر أن هذا الخطر دفع اليهود والنصارى الى الاهتمام اهتماماً شديداً بالحمير ، فاصبح الحمارة الذي يركبه اليهودي ذو الحيشة أو النصراني ذو الحيشة ، قويا متينا معتمداً به ربما فاق البغل أو بعضاً من الخيل . وفي ظل هذه الظروف ارتفع ثمن بعض الحمير ليصل الواحد منها الى أربعين ديناراً . وهكذا لم يستفد من هذه التفرقة الا الحمارة . ولعل هذه الظروف التاريخية تفسر لنا انتشار هذا الصنف من الحيوان في مصر وكثرة توالده . هذا بطبيعة الحال بالإضافة لأسباب أخرى ربما تكون أهم ، وهو الحاجة الشديدة اليه في العمل الزراعي .

قاعد يئش !!

وتفسر لنا هذه الرحلة وغيرها من الرحلات ، كثيراً من العبارات التي لازالت شائعة رغم أننا لم نعد نعلم ظروفها التاريخية التي نشأت بها . فمن التعبيرات الشائعة بين

المصريين في وصف الشخص الذي لا يعمل له (أنه قاعد يشش) وربط العمارة بين هذا التعبير « يشش » الذباب أى ابعاده ، بينما لا علاقة فى الواقع بين النش والذباب فالتعبير المناسب لابعاد الذباب هو (دب الذباب) ، بل لقد قيل ان الذباب ما سمي ذبابا الا لانه كلما ذب أب ، أى كلما ذب أى أبعد ، أب أى رجح (ذب - يضمم الذال وتشديد الباء وفتحها) * نعود الى الأصل التاريخى الذى يوضحه لنا البغدادى لتعبير (قاعد ينس) * سى نسن العرب لابن منظور نسيش المياه جفها * سى الغدير او العوض او النهر ينش نشا ونشيشا أى يمس ماؤه ونضيب ، وقيل نس الماء على وجه الأرض أى نشف وجف ، وقد استخدم البغدادى تعبير نس النيل أى جف وذلك فى سنوات الجفاف والسمنة ، ولا شك أنه استخدم هنا التعبير الشائع على ألسن المصريين الذين حدثوه عن أن النيل يد نس ، وسأجد هو بنفسه نسيش النيل * واذا نش النيل نش المصريون ، فالمصريون فلاحون زراع ، وماذا يفعل الفلاح اذا لم يجد ماء أو اذا نش الماء ؟ انه هو أيضا يجف أى ينش أى يصبح غير قادر على العمل * * وانتهت ظروف جفاف النيل وعموم المجاعات لا أعادها الله بعد خزن المياه عن طريق السدود والفتاخر والسد العالى ، ومع هذا بقى التعبير كما فى ضمير الشعب يتم استخدامه دون معرفة ظروفه التاريخية ، ومن ذلك أيضا تعبير (قاعد يقشر بصل) أو فلان (يقشر البصل) للدلالة أيضا على البطالة وقلة العمل والضيق ، وهذا التعبير أيضا مرتبط بآيام جفاف النيل ، أو نسيش النيل ، ذلك أن المصريين الذين أصابهم الضر وعموا المياه والطعام كانوا يهرولون الى قاع النيل الجاف حيث بقايا المياه ، وحيث نبتت الحشائش والابصال على بقايا مياه القاع ، فيعهد المصري الى بعض هذه الابصال (النباتات البصلية أى ذات الجذور القابلة لأن تؤكل) فيقشرها ويأكلها ، فاذا افتقد واحد من المصريين صديقه أو قريبه وسأل عنه قيل له : « قاعد - فى قاع النهر - يقشر بصل » ، ولم يعد المصريون يقشرون بصلا فأياهم غدت طيبة - أدام الله طيبها - ومع هذا ظل التعبير مخزونا فى اللغة الشعبية ، لتذكرنا بآيام جفاف النيل *

لماذا اختلني التمساح المصري؟

ويتحدثنا البغدادي (القرنين السادس والسابع للهجرة / الثاني عشر والثالث عشر للميلاد) عن كثرة التماسيح في النيل خاصة في المنجى الرئيسي في الصعيد ، ويذكر أن نسلها « كالود كثرة » وانها تكون « صغارا وكبارا » ، وأن الكثير منها « ينيف على عشرين ذراع طولاً » . وينقل البغدادي عن أرسطو قوله أن كبد التمساح « تهيج المجتمع » أي تزيد من الملائكة الجنسية للرجال ، وأضاف البغدادي ناسبا لأرسطو قوله ان « كليتي التمساح ودهنه » ابغ في تحقيق شدة الغرض . ويبدو أن شبيبا من هذه الفكرة لازال قائما الى الآن ، ذلك أن واحدا من عمال حديقة الحيوان ندرس في وجهي المتغضن وحيثي - بينما كنت انزه مع اولادي في الحدائق ، وعرض علي هامسا أن يبيهنى شيئا قدمه لي على أنه دهن تمساح . فلما سألته عن فائدته ، نظرت الى بعق ، فلما لم أفهم أغمض عينا وفتح أخرى ، وتركني ورحل . أين ذهبت كل هذه التماسيح الكثير تولدها . . لاشك أن المصريين أسرفوا في أكلها ، خاصة ونحن نقرأ في تذكرة داود الانطاسكي (١١ هـ / ١٧ م) ما يؤكد هذه الفكرة ويقول الانطاسكي أن أكله يحرك الباء - المعنى مفهوم . وفيما يلي نص ما قاله :

« . . [تمساح] حيوان مائي في الأصل لكنه يعيش في البر وهو من ذوات الأربع يمال انه اغلظ الحيوانات البحرية جلدا ويبيض في البر فيكون منه السقنقور (١) ، وصغاره تعرف بالورل قيل انه من خواص نيل مصر وأنه يحرك فكاه الأعلى دون سائر الحيوانات وأنه لا يروى وإنما يدخل في جوفه طائر فيأكل ما فيه ويخرج فان وجد فمه مطبوقا نوره بعظمة في رأسه حتى يفتح فاه وهو مفترس جبان قليل الجري الا اذا كسر ولا يأخذ في عمق الماء ويحب الغيلة وهو حار في آخر الثانية يابس في أول الثالثة أكله يحرك الباء (٢) ويخصب البدن ويقطع القولنج وشحمه يتحلل الأوجاع الباردة من المفاصل والظهر شربا وطلاء

(١) هذا خطأ لا شك فيه فالسقنقور غير التمساح .

(٢) أي الطاقة الجنسية .

ويفتح الصمم وأن قدم والصداع والشقيقة ولو سهوفا وزبله
يجلو البياض مجرب والكلف والبهق وكذا دمه مع الامليج *
ومن خواص شحمه اذهاب الربيع طلاء وكبدته اذهاب الجنون
بخورا وعينه ايقات البندام تعليقا اذا طلعت وهو حي قبل
ووجع العينين * ومن خواص معضوضه أن يتبعه النمل حيث
كان حتى يدخل في الجرح فيقتل ويتخلص من ذلك البخور حوله
بانكهون والنظران والتنمساح عسر الهضم ردىء الغذاء ويصلحه
الدارصيني ومعجون الكمون * * (١)

وقد أشار القاضى النيفاشى الذى عمل فاضسيا فى ظل
الدولة الحفصية - كثيرا الى لحم الشمساح وما يسيبه من
قوة وفحولة لمتعاطيه ، ولعل هذا هو السبب فى رحيل هذا
القاضى الى مصر التى ألفت فيها كتابه المشهور (رجوع الشيخ
الى صباه فى القوة على الباه) (٢) *

البغدادى والوصف الجغرافى وتحديد المواقع الفلكية

ربما يجد القارئ غير المتخصص عجباً فى أن البغدادى
ابن القرن السادس الهجرى / الثانى عشر للميلاد ، يحدثنا عن
الموقع الفلكى لمصر فيذكر أن حدها الجنوبى هو ٢٢ر٥° درجة ،
وأن منابع النيل تنبع الى جنوب خط الاستواء ، والواقع أن
الباحث الشهير كرانسوفسكى فى كتابه (تاريخ الأدب

(١) بذكره داود الاطائى - حرف الباء - مادة نمساح *

(٢) النيفاشى الموفى ٦٥١ م / ١٢٥٣ م هو أحمد بن يوسف النيفاشى
الذى ولد فى تيفاش من قرى نفصة المدينة التونسية المسهورة فى الجنوب
العربى ، سافر الى القاهرة ، ومنها الى دمشق لكنه عاد الى القاهرة - ربما
حبا فى لحم التنساح - مات بمصر ودفن بمقبرة باب النصر ، ومن كتبه
ايضا : أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار (حقه ونشره د . محمد يوسف
حسن ومحمود خفاجى) *

الجغرافي العربي (١) ، يقطع لنا بأن العرب أضفوا لعلم الجغرافيا شيئاً جديداً وأعرضوا . حاشية ٥ . ان الجغرافيين العرب اعتمدوا في البداية على كتاب الجغرافيا لبطليموس الاسكندري ثم - بشكل أقل - على كتاب هارينوس العموري ، لكن منذ عهد المأمون حلت الجغرافيا العربية المخالصة محل الجغرافيا اليونانية .

مكانة البغدادي بين الرحالة العرب

يستحق عبد اللطيف البغدادي أن يفسر له الباحثون فصلاً مستقلاً في بحوثهم عن أدب الرحلة عند العرب أو بحوثهم عن العرب والجغرافيا ، كما أن دراسة مفصلة عن العلوم عند العرب تتلو من ذكر عبد اللطيف البغدادي هي - بعيننا - دراسة غير مكتملة .

ان معظم الرحالة المسلمين أتوا من أطراف العالم العربي ، سواء الاطراف الشرقية أم الغربية ، فمن الاطراف الشرقية نسمع عن ناصري بن ناصرو الفارسي (توفي ٥٤٢ هـ / ١٠٦٠) الذي سجل رحلته في كتابه (سفرنامه) (٢) ، ونسمع أيضا بالرحالة الهروي المولود في هراه ، الذي أقام بالاسكندرية سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م .

وقد ركز في رحلته على مواضع الزيارة الدينية ، ويقصد بها قبور الاولياء والصالحين (٣) .

اما الرحالة المنطلقون من الطرف الغربي للعالم الاسلامي ، فمنهم ابن جبير الذي انطلق من غرناطة ٥٨٧ هـ / ١١٨٣ م ووصل الاسكندرية ومنها الى قوص وعيذاب فجده ، وبعد اداء الحج اتجه الى العراق ثم تركه للشام واتجه الى صقلية وعاد الى غرناطة ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م ، لكنه ارتحل بعد ذلك للشرق مرتين ومات بالاسكندرية ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م .

(١) ترجمة رافيه المرجم السوداني صلاح الدين عثمان هاشم .

(٢) ترجمه يحيى النشاب ونشرته مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٥ .

(٣) الهروي ، أبو الحسن على : الاشارات الى معرفة الزيارات .

دمشق ، المعهد الفرنسي ، ١٩٥٣ .

ونسمع أيضا عن ابن سعيد الأندلسي الذي وصل
الإسكندرية سنة ٦٣٨ هـ / ١٢٤١ م وتنقل بين مدن الشام
والعراق *

وهناك الرحالة المصري المنسوب إلى عبد الدار وانطلق
صوب المشرق من السويس الأقصى حيث استقرت أسرته
يومئذ ، وبدأ رحلته سنة ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م فزار الشمال
الأفريقي كله ووصل إلى الإسكندرية ثم أدى فريضة الحج ،
وعاد إلى بلاده *

وهناك شيخ الرحالة ابن بطوطة ، الذي قضى
ثمانى وعشرين سنة من حياته ينتقل بين أجزاء العالم * لقد
انطلق من طنجة وبعد أن أدى فريضة الحج أتبعه إلى فارس
وتشرق أفريقيا ، وزار النرم وحوض الفولجا والقسطنطينية ،
وزار في رحلة أخرى خوارزم وبخارى وكرديستان وبلاد الأفغان
والهند والصين ، * * وسجل ابن بطوطة مشاهداته في
« تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » *

ومن هذا العرض نلاحظ أن معظم الرحالة المسلمين
قدموا من جناح العالم الإسلامي الشرقي أو جناحه الغربي ،
وكان هدفهم الأول وهدفهم الأساسي هو أداء فريضة الحج ،
ونظرا لبعدهم بلادهم فقد مروا بمناطق كثيرة وشعوب كثيرة ،
وهم في طريقهم للديار المصرية ، فزادهم هذا شغفا بالرحلة
حتى أن معظمهم بعد أن أدى فريضة الحج ، شغف بالترحال ،
فقام برحلة أو أكثر من رحلة بقصد الرحلة نفسها أو شغفا
بالترحال ذاته هذه المرة ، وهذا أوضح ما يكون عند ابن بطوطة
فإن كانت رحلته الأولى قد قصص بها أداء فريضة الحج ،
فلأنك إن رحلته الأخرى لم يكن يقصد بها إلا تصمير فوائد
السفر من علم ومعاينة وتعرف * * الحج *

أما الرحالة الذين انطلقوا من قلب العالم الإسلامي ذاته
فهم أقل عددا ، وربما أقل شهرة ومن هؤلاء ابن فضلان
الذى انطلق من بغداد في عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله
(٢٩٥ - ٣٢٠ هـ) وانجه إلى بلاد القسطنطينية بأمر الخليفة
ليكون رئيسا للوفد المرسل للملك هذه البلاد ، ليعلم شعبه

– بناء على طلبه – حقائق الإسلام * كان ابن فضالان اذن في مهمة رسمية ، لكن قلبه اليقظ وعقله الواعي جعله يتأمل ويفقه ما يشاهد ، فكانت رحلته المدروسة باسم (رسالة ابن فضالان) (١) *

ورحالتنا عبد اللطيف البغدادي هو ايضا من الرحالة الذين انطلقوا من قلب العالم الاسلامي لا من اطرافه ، فقد ولد في بغداد ، وعمل في خدمة صلاح الدين الايوبي في الشام وخدمة اولاده في مصر ، وقد رتبوا له مائة دينار في التسهيلات ليعتزل العلم *

ونحن نلاحظ ان الرحالة الذين انطلقوا من وسط العالم الاسلامي لم يقوموا برحلات طويلة ، وانما كانوا يزورون بلادا معينة يتوجهون اليها ، فلم يتعد ابن فضالان بلاد الصقالبة ، ولم يتعد البغدادي مصر والشام والحجاز *

واذا رحنا نبحث عن مكان البغدادي بين الرحالة المسلمين من ناحية اسلوب المعالجة ومجال الاهتمام ، وجدنا ان البغدادي حري به ان نطلق عليه « الرحالة » العالم ، وهو بالفعل ما أطلقه عليه بعض الباحثين (٢) ونحن لانعدم ما يؤكد ذلك في كثير مما أورده في رحلته هذه التي بين ايدينا ، فقد انتهز فرصة كثرة البحث التي ملأت النيل والطرق والخلاء في اثناء الشمسدة أو المجاعة التي ألمت بمصر ، وراح يدرس النظام البشرية عظمة عظمة ويقارن تركيب الجسم البشري بما ورد في كتب الاطباء اليونان والعرب ، ليخلص بنتائج مؤداها ان بعض هؤلاء الاطباء قد اخطأوا ، فاليقظة والمشاهدة ودراسة الواقع أقوى من كل نقولات ، مهما كان مصدر هذه النقولات * وعندما يدرس البغدادي مياه النيل ويسوؤه ما فيه من عنق بسبب عدم جريان الماء لانخفاض مياه النيل – يقرر

(١) نشرها المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٥٩ بعنوان (رسالة

ابن فضالان) *

(٢) منهم نقولا زيادة ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، بيروت ،

مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني ، ١٩٦٢ *

أن تسخين هذا الماء أو غليه لا يخلصه مما فيه من ضرر لغلبة العفن على الماء ، وهو في هذه الحالة يفضل مياه الآبار .

ومن أقوى الفصول العلمية في كتابه هذا ما تعلق بنباتات مصر ، ففيه تفاصيل طيبة ، كما يبين قدرة كبيرة على التأمل . كما كتب فعسلاً طيباً عن التحية الحيوانية في مصر ، ومن المهم أن نذكر أن معلومات البغدادي عن الحيوان والنبات والتشريح والغذاء ليست معلومات عرضية يتصيدا القارئ من بين فيض من الكتابات نرى مجالات أخرى ، أو يصيدها من بين استطرادات لا حصر لها ، وإنما نجد البغدادي قد رتبها وحصل لها فصلاً ببيتها . مما يؤكد منحاه العلمي المؤكد ، ولا غرو فهو طبيب مشهور أسير له بالبنان في الشام ومصر على سواء . والطبيب في هذا العصر كان باسرة عالماً بالادوية ، أو انه على نحو أو آخر كان عسلاً أو ملماً بالاعشاب المفيدة كالعلاج .

وقد احتفى مؤرخو العلوم منذ العرب بالمنهج العلمي لعدد من العلماء ، من بينهم عبد اللطيف البغدادي ، فيحدثنا جلال مظهر (١) عن ذلك :

« . . . ويقدم لنا عبد اللطيف البغدادي فكرة جيسدة واضحة عن الاسلوب العلمي الذي اتبعه العرب ليجاد أدلة يؤيدون بها ما يقرأونه في الكتب . وهذه الطريقة تبين الى مدى كبير استقلالهم في الرأي ووسائلهم العلمية الصحيحة وعدم خضوعهم اجسلاً لبحيصة جالينوس أو غيره . وكان عبد اللطيف البغدادي أول من أفصح بجلاء عن أهمية المشاهدة ودقة التحري أولاً ، حتى فيما قال جالينوس .

وفي أقوال عبد اللطيف البغدادي عن التشريح ما يغنى عن هذا وما يثبت لنا بكل جلاء أنه كان أول من اتفق جالينوس نقدا صريحا ، وأظهر خطأه في التشريح مهتما على المشاهدة

.....

(١) حضارة الاسلام واثرها في الترقى العالمى ، صص ٣٤٥-٣٤٦ .

والعجس . نال : « ومن عجب ما ساهدناه ان جماعة ممن يتعاطون الطب وصلوا الى كتاب في التشريح فكان يعسر اذناهم وفؤدهم فيصور انقول عن الهيان ، فاخبرنا ان في المقس نلا عليه رمم كثيرة فخرجنا اليه فراينا نلا من رمم له مسافة طويلة يكاد يكون ترابه اقل من الموتى به ، تجدس ما يظهر منهم للهيان بعشرين الفا فصاعدا ، وهم على طبقات في قرب العهد وبعده . فشاهدنا من شكل العظام ومفاصلها وكيفية اتصالها وتناسبها واوضاعها ما افادنا علما لا نستفيده من الكتب ، اما انها سكنت عنها ، او لا يفى لفظها بالدلالة عليه ، او يكون ما شاهدناه مخالفا لما قيل فيها ، والحس اقوى في الدلالة من السمع ، وان جالينوس وان كان في الدرجة العليا من التحرى والتحفظ فيما يباشره ويحكيه ، فان الحس اصديق منه .

فمن ذلك عظم الفك الاسفل ، فان الكل قد اجمعوا على انه عظمان مفصل رقيق عند الجناك . وقولنا الكل انه نعى به هاهنا جالينوس وحده ، فانه الذي باشر التشريح بنفسه وجعله دأبه ونصب عينيه وصنف فيه عدة كتب معظمها موجود لدينا والباقي لم يخرج الى لسان العرب .

والذي شاهدناه من حال هذا العضو انه عظم واحد ليس فيه مفصل ولا درز اصلا ، واعتبرنا ما شاء الله من المرات في اشخاص كثيرة تزيد على الفى جمجمة باصناف من الاعتبار فلم نجد الا عظما واحدا من كل ما شاهدناه منه وحكيته . وكذلك في اشياء اخرى غير هذه . ولئن مكنتنا المقادير بالمساعدة وضعنا مقالة في ذلك نحكى فيها ما شاهدناه وما علمناه ، ثم اعتبرت هذا العظم ايضا بمدافن بوصير القديمة المقدم ذكرها فوجدته على ما حكيت ، ليس فيه مفصل ولا درز ، ومن شأن الدروز الخفية والمفاصل الوثيقة اذا تقادم عليها الزمان ان تظهر وتتفرق ، وهذا الفك الاسفل لا يوجد في جميع احواله الا قطعة واحدة » .

ليس هذا هو الاسلوب العلمى الصحيح ؟

مؤلفات البغدادى الأخرى والمراجع التى تناولته

وصفه الذين ترجموا له بأنه من فلاسفة الاسلام ومن
المكثرين فى التصنيف فى الحكمة وعلم النفس والطب
والتاريخ والبلدان والأدب ، ومن كتبه :

- فوائن البلاغة *
- الانصاف بين ابن برى وابن الخشاب فى كلامهما عن
المقامات *
- الجامع الكبير فى المنطق الطبيعى والالهى *
- الكلمة فى الربوبية *
- الحكمة الكلامية *
- تهذيب كلام افلاطون *
- القياس
- السماع الطبيعى *
- غريب الحديث *
- المنحنى الجلى فى الحساب *
- التجريد فى اللغة *
- شرح احاديث ابن ماجه المتعلقة بالطب *
- مختصر الحيوان للجاحظ *
- كتاب فى النبات *
- رسالة فى النفس

- رسالة في العلم الالهي *
- رسالة في الماء *
- حقيقة الدواء والغذاء *
- رسالة في الجواس *
- رسالة في النفس والصوت والكلام *
- المدينة الفاضلة *
- اللغات وكيفية تولدها *
- القدر *
- وغيرها *

وترجمت له كل كتب التراجم التي تغطي فترة وفاته
 كابن شاکر الکتبی فی کتاب (قوات الوقیات) والسبکی فی
 (بغية الوعاه) ، وابن أبي أصيبعة فی (طبقات الأطباء) ، الخ
 ومن المراجع الحديثة التي كتبها أطباء كتاب (لمحات من التراث
 الطبی العربی) (١) * وقد آثرنا أن نورد فی هذا الكتاب
 ترجمة كاملة للبغدادي من كتاب ابن أبي أصيبعة يجدها
 القارىء بعد هذه الدراسة مباشرة *

(١) تأليف د. مرسى محمد عرب (أستاذ الأمراض الباطنية بدات
 الاسكندرية) الاسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٧٥ * وقد خصص الفصل
 الخامس لاضافات العرب لقروع الطب المختلفة *

[من كتاب طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة]

هو الشيخ الامام الفاضل موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي بن أبي سعد ويعرف بابن اللباد موصلى الأصل بغدادى المولد * كان مشهورا بالعلوم متحليا بالفضائل مليح العبارة كثير التصنيف وكان متميزا فى النحو واللغة العربية عارفا بعلم الكلام والطب * وكان قد اعتنى كثيرا بصناعة الطب لما كان بدمشق واشتهر بعلمها ، وكان يتردد اليه جماعة من التلاميذ وغيرهم من الأطباء للقراءة عليه * وكان والده قد شغله بسماع الحديث فى صباه من جماعة ، منهم ابن الفتح محمد بن عبد الباقي المعروف بابن البطى وأبو زرعة طاهر بن محمد المقدسى وأبو القاسم يحيى بن ثابت الوكيل وغيرهم * وكان يوسف والد الشيخ موفق الدين مشغولا بعلم الحديث بارعا فى علوم القرآن والقراءات مجيدا فى المذهب والخلاف والأصولين وكان متطرفا من العلوم العقلية * وكان سليمان عم الشيخ موفق الدين فقيها مجيدا وكان الشيخ موفق الدين عبد الله كثير الاشتغال لا يخلو وقتا من أوقاته من النظر فى الكتب والتصنيف والكتابة * والذى وجدته من خطه أشياء كثيرة جدا، بحيث أنه كتب من مصنفاته نسخا متعددة ، وكذلك أيضا

كتب كتباً كثيرة من تصانيف القدماء وكان صديقاً لجدي وبينهما صحبة أكيدة بالديار المصرية لما كانا بها . وكان أبى وعمى يشتغلان عليه بعلم الأدب واشتغل عليه عمى أيضاً بكتب أرسطوطاليس . وكان الشيخ موفق الدين كثير العناية بها والفهم لمعانيها وأتى الى دمشق من الديار المصرية وأقام بها مدة وكثر انتفاع الناس بعلمه ورأيته لما كان مقيماً بدمشق فى آخر مرة أتى اليها وهو شيخ نحيف الجسم ربع القامة حسن الكلام جيد العبارة وكانت مسطرته أبلغ من لفظه وكان رحمه الله ربما تجاوز فى الكلام لكثرة ما يرى فى نفسه ، وكان يستنقص الفضلاء الذين فى زمانه وكثيراً من المتقدمين ، وكان وقوعه كثيراً جداً فى علماء العجم ومصنفاتهم ، وخصوصاً الشيخ الرئيس ابن سينا ونظرائه .

(ونقلت) من خطه فى سيرته التى ألفها ما هذا مثاله قال : انى ولدت بدار لجدي فى درب الفالودج فى سنة سبع وخمسين وخمسمائة وتربيت فى حجر الشيخ أبى النجيب لا أعرف اللعب واللهو وأكثر زمانى مصروف فى سماع الحديث ، وأخذت لى اجازات من شيوخ بغداد وخراسان والشام ومصر . وقال لى والدى يوماً قد أسمعتك جميع عوالى بغداد وألحقتك فى الرواية بالشيوخ اللسان . وكنت فى أثناء ذلك أتعلم الخط وأحفظ القرآن والفصيح والمقامات وديوان المتنبى ونحو ذلك ومختصراً فى الفقه ومختصراً فى النحو فلما ترعرعت حملنى والدى الى كمال الدين عبد الرحمن الأنبارى ، وكان يومئذ شيخ بغداد وله بوالدى صحبة قديمة أيام التفقه بالنظامية (١) فقرأت عليه خطبة الفصيح فهذر كلاماً كثيراً متتابعاً لم أفهم منه شيئاً ؛ لكن التلاميذ حسوا

(١) المقصود المدرسة النظامية .

يعجبون منه ، تم قال : أنا أجفو عن تعليم الصبيان احمله الى تلميذى الوجيه الواسطى يقرأ عليه فاذا توسطت حاله قرأ على . وكان الوجيه عند بعض أولاد رئيس الرؤساء وكان رجلا أعمى من أهل الثروة والمروعة فأخذنى بكلتا يديه ، وجعل يعلمنى من أول النهار الى آخره بوجوه كثيرة من التلطف فكنت أحضر حلقتة بمسجد الظفرية ويجعل جميع الشروح لى ويخاطبنى بها وفى آخر الأمر أقرأ درسى ويخصنى بشرحه ، ثم يخرج من المسجد فيذاكرنى فى الطريق . فاذا بلغنا منزله أخرج الكتب التى يشتغل بها مع نفسه فأحفظه وأحفظ معه ، ثم يذهب الى الشيخ كمال الدين فيقرأ درسه ويشرح له وأنا أسمع . وتخرجت الى أن صرت أسبقه فى الحفظ والفهم وأصرف أكثر الليل فى الحفظ والتكرار واقمنا على ذلك برهة كلما جاد حفظى وكثر وجاد وفهمى وقوى استنار ذهنى احتد واستقام . وانا الازم الشيخ وشيخ الشيخ وأول ما ابتدأت حفظت اللمع فى ثمانية أشهر أسمع كل يوم شرح اكثرها مما يقرؤه غيرى ، وأنقلب الى بيتى فأطالع شرح الثمانين وشرح الشريف عمر بن حمزة وشرح ابن برهان وكل ما أجد من شروحا وأشرحها لتلاميذ يختصون بى الى أن صرت أتكلم على كل باب كراريس ولا ينفد ما عندى . ثم حفظت أدب الكاتب لابن قتيبة حفظا متقنا، أما النصف الأول ففى شهر وأما تقويم اللسان ففى أربعة عشر يوما لأنه كان أربعة عشر كراسا . ثم حفظت مشكل القرآن له وغريب القرآن له وكل ذلك فى مدة يسيرة ثم انتقلت الى الايضاح لابى على الفارسي فحفظته فى شهر كثيرة ولازمت مطالعة شروحه وتتبعته التتبع التام حتى تبهرت فيه وجمعت ما قال الشراح . وأما التكملة فحفظتها فى أيام يسيرة كل يوم كراسا وطالعت الكتب المبسوطة المختصرات وواظبت على المقتضب

للمبرد وكتاب ابن درستويه ، وفي أثناء ذلك لا أغفل سماع الحديث والتفقه على شيخنا ابن فضلان بدار الذهب وهي مدرسة معلقة بناها فخر الدولة بن المطلب * قال : وللشيخ كمال الدين مائة تصنيف وثلاثون تصنيفا أكثرها في النحو وبعضها في الفقه والأصول وفي التصوف والزهد وأتيت على أكثر تصانيفه سماعا وقراءة وحفظا، وشرع في تصنيفين كبيرين أحدهما في اللغة والآخر في الفقه ولم يتفق له اتمامهما ، وحفظت عليه طائفة من كتاب سيبويه وأكبت على المقتضب فأتقنته * وبعد وفاة الشيخ تجردت لكتاب سيبويه ولشرحه للسيرافي ثم قرأت على ابن عبيدة الكرخي كتبا كثيرة ، منها كتاب الأصول لابن السراج والنسخة في وقف ابن الخشاب يرباط المأمونية ، وقرأت عليه الفرائض والفروض للخطيب التبريزي وهو من خواص تلاميذ ابن الشجري ، وأما ابن الخشاب فسمعت بقراءته معاني الزجاج (★) وسمعت الحديث المسلسل وهو الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء *

وقال أيضا موفق الدين البغدادي، ان من مشايخه الذين انتفع بهم كما زعم ولد أمين الدولة بن التلميذ وبالغ في وصفه وكثر * وهذا لكثرة تعصبه للعراقيين والا فولد أمين الدولة لم يكن بهذه المثابة أو قريبا منها * وقال انه ورد الى بغداد رجل مغربي طوال في زى التصوف ، له أبهة ولسن مقبول الصورة عليه مسحة الدين وهيئة السياحة ينفع لصورته من رآه قبل أن يخبره يعرف بآبن تاتلي يزعم أنه من أولاد المثلثة (١) خرج من المغرب لما استولى عليها

(١) أي من قبائل الطوارق *

(★) بتسديد الجيم وفتحها *

عبد المؤمن فلما استقر ببغداد اجتمع اليه جماعة من الأكابر والأعيان ، وحضره الرضى القزوينى وشيخ الشيوخ ابن سكيئة ، وكنت واحدا ممن حضره فأقرأنى مقدمة حساب ومقدمة ابن بابشاذ فى النحو ، وكان له طريق فى التعليم عجيب ومن يحضره يظن أنه متبحر وانما كان متطرفا ؛ لكنه قد آمن فى كتب الكيمياء والطلسمات وما يجرى مجراها ، وأتى على كتب جابر بأسرها وعلى كتب ابن وحشية ، وكان يجلب القلوب بصورته ومنطقه وايهامه فمأ قلبى شوقا الى العلوم كلها واجتمع بالامام الناصر لدين الله وأعجبه ثم سافر وأقبلت على الاشتغال وشمرت ذيل الجد والاجتهاد وهجرت النوم واللذات ، واكبت على كتب الغزالي: المقاصد والمعيار والميزان ومحك النظر ثم انتقلت الى كتب ابن سينا صغارها وكبارها وحفظت كتاب النجاة وكتبت الشفاء وبحثت فيه وحصلت كتاب التحصيل لبهمنيار تلميذ ابن سينا وكتبت وحصلت كثيرا من كتب جابر بن حيان الصوفى وابن وحشية وباشرت عمل الصنعة الباطلة وتجارب الضلال الفارغة * وأقوى من أضلنى ابن سينا بكتابه فى الصنعة الذى تمم به فلسفته التى لا تزاد بالتمام الا نقصا *

قال : ولما كان فى سنة خمس وثمانين وخمسمائة حيث لم يبق ببغداد من يأخذ بقلبى ويملأ عينى ويحل ما يشكل على ، دخلت الموصل فلم أجد فيها بغيتى لكن وجدت الكمال بن يونس جيدا فى الرياضيات والفقہ متطرفا من باقى أجزاء الحكمة قد استغرق عقله ووقته حب الكيمياء وعملها حتى صار يستخف بكل ما عداها * واجتمع الى جماعة كثيرة وعرضت على مناصب فاخترت منها مدرسة ابن مهاجر المعلقة ودار الحديث التى تحتها وأقمت بالموصل سنة فى اشتغال

دائم متواصل ليلا ونهارا * وزعم أهل الموصل أنهم لم يروا من أحد قبلي ما رأوا مني من سعة المحفوظ وسرعة الخاطر وسكون الطائر * وسمعت الناس يهرجون في حديث الشهاب السهروردي المتفلسف ويعتقدون أنه قد فاق الأولين والآخرين وأن تصانيفه فوق تصانيف القدماء فهمت لقصده ثم أدركتني التوفيق فطلبت من ابن يونس شيئا من تصانيفه وكان أيضا معتقدا فيها فوقعت على التلويحات واللمحة والمعارض فصادفت فيها ما يدل على جهل أهل الزمان ووجدت لي تعاليق كثيرة لا أرتضيها هي خير من كلام هذا الأحمق * وفي أثناء كلامه يثب حروفا مقطعة يوهم بها أمثاله أنها أسرار الهية *

قال : ولما دخلت دمشق ، وجدت فيها من أعيان بغداد والبلاد ممن جمعهم الاحسان الصلاحي جمعا كثيرا * منهم جمال الدين عبد اللطيف ولد الشيخ أبي النجيب وجماعة بقيت من بيت رئيس الرؤساء وابن طلحة الكاتب ، وبيت ابن جهير وابن العطار المقتول الوزير وابن هبيرة الوزير * واجتمعت بالكندی البغدادي النحوي ومرت بيننا مباحثات فأظهرني الله تعالى عليه في مسائل كثيرة ، ثم انى أهملت جانبه فكان يتأذى باهمالي له أكثر مما يتأذى الناس منه * وعملت بدمشق تصانيف جمعة منها : غريب الحديث الكبير ، جمعت فيه غريب أبي عبيد القاسم بن سلام وغريب ابن قتيبة وغريب الخطابي وكنت ابتدأت به في الموصل وعملت له مختصرا سميته المجرد ، وعملت كتاب الواضحة في اعراب الفاتحة نحو عشرين كراسا ، وكتاب الألف واللام ، وكتاب رب ، وكتوبا في الذات والصفات الذاتية الجارية على السنة المتكلمين ، وقصدت بهذه المسألة الرد على الكندی * ووجدت بدمشق الشيخ عبد الله بن تاتلي نازلا بالماذنة الغريبية ،

وقد عكف عليه جماعة وتحزب الناس فيه حزبين : له وعليه • فكان الخطيب الدولعي عليه وكان من الأعيان له منزلة وناموس ثم خلط ابن تاتلي على نفسه فأعان عدوه عليه وصار يتكلم فى الكيمياء والفلسفة وكثر التشنيع عليه واجتمعت به فصار يسألنى عن أعمال اعتقد أنها خسيصة نزره ؛ فيعظمها ويحتفل بها ويكتبها منى وكاشفتها فلم أجده كما كان فى نفسى فساء به ظنى وبطريقته ثم باحثته فى العلوم فوجدت عنده منها أطرافا نزره فقلت له يوما : لو صرفت زمانك الذى ضيعته فى طلب الصنعة الى بعض العلوم الشرعية أو العقلية كنت اليوم فريد عصرك مخدوما طول عمرك وهذا هو الكيمياء لا ما تطلبه • ثم اعتبرت بحاله وانزجرت بسوء مآله • والسعيد من وعظ بغيره فاقلمت لكن لا كل الاقلاع • ثم انه توجه الى صلاح الدين بظاهر عكا يشكو اليه الدولعي ، وعاد مريضا وحمل الى البيمارستان فمات به ، وأخذ كتبه المعتمد شحنة دمشق وكان متيما بالصنعة •

ثم انى توجهت الى زيارة القدس ثم الى صلاح الدين بظاهر عكا فاجتمعت ببهاء الدين شداد قاضى العسكر يومئذ وقد اتصلت به شهرتى بالمرسل فانبسط الى وأقبل على وقال: نجتمع بعماد الدين الكاتب • فقمنا اليه وخيمته الى خيمة بهاء الدين فوجدته يكتب كتابا الى الديوان العزيز بقلم الثلث من غير مسودة • وقال : هذا كتاب الى بلدكم • وذاكرنى فى مسائل من علم الكلام ، وقال : قوموا بنا الى القاضى الفاضل، فدخلنا عليه • فرأيت شيخا ضئيلا كله رأس وقلب وهو يكتب ويملى على اثنين ووجهه وشفته تلعب الوان الحركات لقوة حرصه فى اخراج الكلام كأنه يكتب بجملته أعضائه • وسألنى القاضى الفاضل عن قوله سبحانه تعالى : « حتى اذا

جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزننها»، أين جواب اذا ؟
وآين جواب لو فى قوله تعالى : « ولو أن قرآنا سيرت به
الجبال » ؟ وعن مسائل كثيرة ومع هذا فلا يقطع الكتابة
والاملاء وقال لى : ترجع الى دمشق وتجرى عليك الجرايات ،
فقلت : أريد مصر ، فقال : السلطان مشغول القلب
بأخذ الفرنج عكا وقتل المسلمين بها . فقلت : لا بد لى
من مصر ؛ فكتب لى ورقة صغيرة الى وكيله بها فلما دخلت
القاهرة جاءنى وكيله وهو ابن سناء الملك ، وكان
شيخا جليل القدر نافذ الأمر فأنزلنى دارا قد أزيحت عملها
وجاءنى بدنانير وغلة . ثم مضى الى أرباب الدولة وقال : هذا
ضيف القاضى الفاضل ، فدرت الهدايا والصلوات من كل
جانب . وكانت كل عشرة ايام أو نحوها تصل تذكرة
القاضى الفاضل الى ديوان مصر بمهمات الدولة وفيها فصل
يؤكد الوصية فى حقى وأقمت بمسجد الحاجب رحمه الله
أقربى الناس وكان قصدى فى مصر ثلاث أنفس : ياسين
السيمياى ، والرئيس موسى بن ميمون اليهودى ،
وأبو القاسم الشارعى . وكلهم جاءونى . أما ياسين
فوجدته محاليا كذابا مشعبذا ، يشهد للشاقانى
بالكيمياى ويشهد له الشاقانى بالكيمياى ويقول عنه
انه يعمل أعمالا يعجز موسى بن عمران عنها ، وانه يحضر
الذهب المضروب متى شاء وبأى مقدار شاء وبأية سكة شاء
وانه يجعل ماء النيل خيمة يجلس فيها وأصحابه تحتها . وكان
ضعيف الحال . وجاءنى موسى فوجدته فاضلا فى النفاية ،
قد غلب عليه حب الرياسة وخدمة أرباب الدنيا وعمل كتابا
فى الطب جمعه من الستة عشر لجالينوس ومن خمسة كتب
أخرى وشرط أن لا يغير فيه حرفا الا أن يكون واو عطف أو
فاء وصل وانما ينقل فصولا يختارها . وعمل كتابا لليهود

سماه كتاب الدلالة ولعن من يكتبه بغير القلم العبراني ووقفت عليه فوجدته كتاب سوء يفصل أصول الشرائع والعقائد بما يظن أنه يصلحها * وكنت ذات يوم بالمسجد وعندى جمع كثير فدخل شيخ رث الثياب نير الطلعة مقبول الصورة فهابه الجمع ورفعوه فوقهم وأخذت فى اتمام كلامى فلما تصرم المجلس جاءنى امام المسجد وقال : أتعرف هذا الشيخ ؟ هذا أبو القاسم الشارعى فاعتنقته وقلت : اياك أطلب ، فأخذته الى منزلى وأكلنا الطعام وتفاوضنا الحديث فوجدته كما تشتهى الأنفس وتلد الأعين سيرته سيرة الحكماء العقلاء وكذا صورته قد رضى من الدنيا ببرض لا يتعلق منها بشيء يشغله عن طلب الفضيلة * ثم لازمنى فوجدته قيما بكتب (★) القدماء وكتب أبى نصر الفارابى ، ولم يكن لى اعتقاد فى أحد من هؤلاء ؛ لأنى كنت أظن أن الحكمة كلها حازها ابن سينا وحشاها كتبه وإذا تفاوضنا الحديث أغلبه بقوة الجدل وفضل اللسن ويغلبنى بقوة الحجة وظهور المحجة * وأنا لا تلين قناتى لخمزه ولا أحميد عن جادة الهوى والتعصب برمزه ، فصار يحضرنى شيئا بعد شيء من كتب أبى نصر والاسكندر وثامسطيوس يونس بذلك نفارى ويلين عريكة شماسى حتى عطفت عليه أقدم رجلا وأؤخر أخرى * وشاع أن صلاح الدين هادن الفرنج وعاد الى القدس فقادت الضرورة الى التوجه اليه فأخذت من كتب القدماء ما أمكنتى وتوجهت الى القدس ، فرأيت ملكا عظيما يملأ العين روعة والقلوب محبة قريبا بعيدا سهلا مجيبا وأصحابه يتشبهون به ، يتسابقون الى المعروف كما قال تعالى : «ونزعنا ما فى صدورهم من غل» * وأول ليل حضرته وجدت مجلسا حفلا بأهل يتذاكرون فى أصناف العلوم وهو يحسن الاجتماع والمشاركة ويأخذ فى

(★) قيم الكتب بمثابة امين المكتبة *

كيفية بناء الآسوار وحفر الخنادق ويتفقه في ذلك ويأتي بكل معنى بديع . وكان مهتما في بناء سور القدس وحفر خندقه يتولى ذلك بنفسه وينقل الأحجار على عاتقه ويتأسى به جميع الناس : الفقهاء والأغنياء والأقوياء والضعفاء حتى العماد الكاتب والقاضي الفاضل . ويركب لذلك قبل طلوع الشمس الى وقت الظهر يأتي داره ويمد الطعام ثم يستريح ويركب العصر ويرجع في المشارع ويصرف اكثر الليل في تدبير ما يعمل نهارا . فكتب لي صلاح الدين بثلاثين ديناراً في كل شهر على ديوان الجامع بدمشق وأطلق أولاده رواتب حتى تقرر لي في كل شهر مائة دينار، ورجعت الى دمشق وأكبت على الاشتغال واقراء الناس بالجامع ، وكلما أمعت في كتب القدماء ازددت فيها رغبة وفي كتب ابن سينا زهادة واطلعت على بطلان الكيمياء ، وعرفت حقيقة الحال في وضعها ومن وضعها وتكذب بها وما كان قصده في ذلك وخلصت من ضلالين عظيمين موبقين وتضاعف شكرى لله سبحانه وتعالى على ذلك، فان أكثر الناس انما هلكوا بكتب ابن سينا وبالكيمياء ثم ان صلاح الدين دخل دمشق وخرج يودع الحاج ثم رجع فحجم ففصده من لا خبرة عنده ؛ فخارت القوة ومات قبل الرابع عشر ووجد الناس عليه شبيها بما يجدونه على الأنبياء وما رأيت ملكا حزن الناس بموته سواه ؛ لأنه كان محبوبا يحبه البر والفاجر والمسلم والكافر . ثم تفرق أولاده وأصحابه أيادي سباً ومزقوا في البلاد كل ممزق أكثرهم توجه الى مصر لخصبها وسعة صدر ملكها ، وأقامت بدمشق وملكها الملك الأفضل وهو أكبر الأولاد في السن الى أن جاء الملك العزيز بمساكر مصر يحاصر أخاه بدمشق فلم ينل منه بغية . ثم

تأخر الى مرج الصفرلة (★) وعرض له لنج فخرجت اليه بعد خلاصه منه، فأذن لي في الرحيل معه وأجرى علي من بيت المال كفايتي وزيادة وأقمت مع الشيخ أبي القاسم يلازمتي صباح مساء الى أن قضى نحبه * ولما اشتد مرضه وكان ذات الجنب عن نزلة من رأسه أشرت عليه بدواء فأنشد :

لا أدود الطير عن شجر قد بلسوت المر من ثمره

ثم سألته عن ألمه ، فقال : ما لجرح بميت ايلام *

وكانت سيرتي في هذه المدة أنى أقرىء الناس بالجامع الأزهر من أول النهار الى نحو الساعة الرابعة ووسط النهار يأتى من يقرأ الطب وغيره وآخر النهار أرجع الى الجامع الأزهر فيقرأ قوم آخرون وفي الليل أشتغل مع نفسى ولم أزل على ذلك الى أن توفى الملك العزيز ، وكان شابا كريما شجاعا كثير الحياء لا يحسن قول لا وكان مع حداثة سنه وشبهه شبابه كامل العفة عن الأموال والفروج *

(أقول) : ثم ان الشيخ موفق الدين أقام بالقاهرة بعد ذلك مدة وله الراتب والجرايات من أولاد الملك الناصر صلاح الدين وأتى الى مصر ذلك الغلاء العظيم والموتان الذى لم يشاهد مثله * وألف الشيخ موفق الدين فى ذلك كتابا ذكر فيه أشياء شاهدها أو سمعها ممن عاينها تدهل العقل وسمى ذلك الكتاب كتاب « الافادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعينة بأرض مصر » ، ثم لما ملك السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب الديار المصرية وأكثر الشام والشرق وتفرقت أولاد أخيه الملك الناصر صلاح الدين وانتزع ملكهم ، توجه الشيخ موفق الدين الى القدس وأقام بها مدة وكان يتردد الى الجامع الأقصى ، ويشتغل الناس عليه بكثير من العلوم وصنف هنالك كتبا كثيرة * ثم انه توجه الى

دمشق ونزل بالمدرسة العزيفية بها وذلك في سنة أربع وستمائة ، وشرع في التدريس والاشتغال وكان يأتيه خلق كثير يشتغلون عليه ويقرءون أصنافا من العلوم ، وتميز في صناعة الطب بدمشق وصنف في هذا الفن كتبا كثيرة وعرف به . وأما قبل ذلك فانما كانت شهرته بعلم النحو . وأقام بدمشق مدة وانتفع الناس به ، ثم انه سافر الى حلب وقصد بلاد الروم وأقام بها سنين كثيرة وكان في خدمة الملك علاء الدين داود بن بهرام صاحب ارزنجان . وكان مكينا عنده عظيم المنزلة وله منه الجامكية الوافرة والافتقادات الكثيرة وصنف باسمه عدة كتب . وكان هذا الملك على المهمة كثير الحياء كريم النفس ، وقد اشتغل بشيء من العلوم ولم يزل في خدمته الى أن استولى على ملكه صاحب ارزن الروم ، وهو السلطان كيقباذ بن كيخسرو بن قلع أرسلان ثم قبض على صاحب ارزنجان ولم يظهر له خبر .

(قال) الشيخ موفق الدين عبد اللطيف : ولما كان في سابع عشر ذى القعدة من سنة خمس وعشرين وستمائة توجهت الى أرزن الروم وفي حادي عشر صفر من سنة ست وعشرين وستمائة رجعت الى أرزنجان من أرزن الروم وفي نصف ربيع الأول توجهت الى كمان وفي جمادى الأولى توجهت منها الى دبركي ، وفي رجب توجهت منها الى ملطية وفي آخر رمضان توجهت الى حلب ، وصلينا صلاة عيد الفطر بالبهنساء ودخلنا حلب يوم الجمعة تاسع شوال فوجدناها قد تضاعفت عمارتها وخيرها وأمنها بحسن سيرة أتاك شهاب الدين واجتمع الناس على محبته لمعدلته في رعيته .

(أقول) : وأقام الشيخ موفق الدين بحلب والناس يشتغلون عليه وكثرت تصانيفه ، وكان له من شهاب الدين

طغريل الخادم أتاك حلب جار حسن وهو متفرغ لتدريس صناعة الطب وغيرها ويتردد الى الجامع بحلب ليسمع الحديث ويقرىء العربية . وكان دائم الاشتغال ملازماً للكتابة والتصنيف ولما أقام بحلب قصدت أن أتوجه اليه وأجتمع اليه وأجتمع به ، فلم يتفق ذلك وكانت كتبه أبداً تصل إلينا ومراسلاته ، وبعث الى أشياء من تصانيفه من خطه .

(وهذه) نسخة كتاب كتبتة اليه لما كان بحلب : المملوك بواصل بدعائه وثنائه وشكره وانتمائه الى عبودية المجلس السامى المولوى السيدى السندى الأجلى الكبيرى العالمى الفاضل موفق الدين سيد العلماء فى الغابرين والحاضرين جامع العلوم المتفرقة فى العالمين ولى أمير المؤمنين أوضح الله به سبل الهداية وأثار ببقائه طرق الدراية وحقق بحقائق ألفاظه صحيح الولاية ، ولازالت سعادته دائمة البقاء وسيادته سامية الارتقاء وتصانيفه فى الآفاق قدوة العلماء وعمدة سائر الأدباء والحكماء . المملوك يجدد الخدمة ويهدى من السلام أطيبه ومن الشكر والثناء أعذبه ، وينهى ما يكابده من أليم التلطمع الى مشاهدة أنوار شمس المنيرة ، وما يعانیه من الارتياح الى ملاحظة شريف حضرته الأثيرة وما تزايد من القلق وتعاضم عند سماعه قرب المزار من الأرق :

وأبرح ما يكون الشوق يوماً اذا دنت الديار من الديار

ولولا أمل قفول الركاب العالى ووصول الجناب الموقفى الجلالى، لسارع المملوك الى الوصول ، ولبادر المبادرة بالثول، ولجاء الى شريف خدمته وفاز بالنظر الى بهى طلعتة .
فيا سعادة من فاز بالنظر اليه ويا بشرى من مثل بين يديه ويا سرور من حظى بوجه اقباله عليه ، ومن ورد بحار فضله

من نميرها واستضاء بشمس علمه فسرى في ضياء منيرها
نسأل الله تعالى تقريب الاجتماع وتحصيل الجمع بين مسرتي
الابصار والاسماع بمنه وكرمه ان شاء الله تعالى *

(ومن مراسلات) الشيخ موفق الدين عبد اللطيف أنه
بعث الى أبي في أول كتاب وهو يقول فيه عنى : ولد الولد
أعز من الولد وهذا موفق الدين ولد ولدى وأعز الناس عندى
وما زالت النجاة تتبين لي فيه من الصغر * ووصف وأثنى
كثيرا * وقال فيه : ولو أمكننى أن أتى اليه بالقصد ليشغل
على لفعت * وبالجمل ، فانه قد عزم أن يأتى الى دمشق ويقوم
بها ثم خطر له أنه قبل ذلك يحج ويجعل طريقه على بغداد ،
وأن يقدم بها للخليفة المستنصر بالله أشياء من تصانيفه ولما
وصل بغداد مرض فى أثناء ذلك وتوفاه رحمه الله يوم الأحد
ثانى عشر المحرم سنة تسع وعشرين وستمائة * ودفن
بالوردية عند أبيه ، وذلك بعد أن خرج من بغداد وبقي
غائبا عنها خمسا وأربعين سنة ، ثم ان الله تعالى ساقه اليها
وقضى منيته بها *

(ومن) كلام موفق الدين عبد اللطيف البغدادي مما
نقلته من خطه قال : ينبغي أن تحاسب نفسك كل ليلة اذا أويت
الى منامك وتنظر ما كسبت فى يومك من حسنة فتشكر الله
عليها ، وما اكتسبت من سيئة فتستغفر الله منها وترتب فى
نفسك مما تعمله فى غدك من الحسنات وتسال الله الاعانة
على ذلك * وقال : أوصيك أن لا تأخذ العلوم من الكتب وان
وثقت من نفسك بقوة الفهم ، وعليك بالأستاذين فى كل علم
تطلب اكتسابه ولو كان الأستاذ ناقصا فخذ عنه ما عنده حتى
تجد أكمل منه وعليك بتعظيمه وتوقيره ، وان قدرت أن تفيد
من دنياك فافعل والا فبلسانك وثنائك واذا قرأت كتابا ،
فاحرص كل الحرص على أن تستظهره وتملك معناه وتوهم

أن الكتاب قد عدم وأنتك مستغن عنه لا تحزن لفقده ، وإذا كنت مكباً على دراسة كتاب وتفهمه فايك أن تشتغل بأخر معه واصرف الزمان الذي تريد صرفه في غيره اليك واياك أن تشتغل بعلمين دفعة واحدة وواظب على العلم الواحد سنة أو سنتين أو ماشاء الله ، فإذا قضيت منه وطرك فانتقل الى علم آخر ولا تظن أنك اذا حصلت علماً فقد اكتفيت ، بل تحتاج الى مراعاته لينمى ولا ينقص ومراعاته تكون بالمذاكرة والتفكر واشتغال المبتدئ بالتحفظ والتعلم ومباحثة الأقران واشتغال العالم بالتعليم والتصنيف ، وإذا تصديت لتعليم علم أو للمناظرة فيه فلا تمزج به غيره من العلوم فان كل علم مكتف بنفسه مستغن عن غيره ، فان استعانتك في علم بعلم عجز عن استيفاء أقسامه - وكمن يستعين بلغة أخرى اذا ضاقت عليه أو جهل بعضها قال : وينبغي للانسان أن يقرأ التواريخ وأن يطلع على السير وتجارب الأمم فيصير بذلك كأنه في عمره القصير قد أدرك الأمم الخالية وعاصرهم وعاشرهم وعرف خيرهم وشرهم . قال : وينبغي أن تكون سيرتك سيرة الصدر الأول فاقرأ سيرة النبي ﷺ ، وتتبع أفعاله وأحواله واقتف آثاره وتشبه به ما أمكنك وبقدر طاقتك واذا وقفت على سيرته في مطعمه ومشربه وملبسه ومنامه ويقظته ومرضه وتطبيه وتمتعه وتطبيه ومعاملته مع ربه ومع أزواجه وأصحابه وأعدائه وفعلت اليسير من ذلك فأنت السعيد كل السعيد . قال : وينبغي أن تكثراتهامك لنفسك ولا تحسن الظن بها وتعرض خواطرك على العلماء وعلى تصانيفهم وتثبت ولا تعجل ولا تعجب فمع العجب العثار ومع الاستبداه الزلل ومن لم يعرق جبينه الى أبواب العلماء ، لم يعرق في الفضيلة ومن لم يبجلوه ، لم يبجله الناس ومع لم يبكتوه ، لم يسود ومن لم يحتمل ألم التعلم ،

لم يذق لذة العلم ومن لم يكدح ، لم يفلح واذا خلوت من
التعلم والتفكر ؛ فحرك لسانك بذكر الله وبتساويحه وخاصة
عند النوم فيتشربه لبك ويتعجن في خيالك وتتكلم به في
منامك واذا حدث لك فرح وسرور ببعض أمور الدنيا ؛ فاذكر
الموت وسرعة الزوال وأصناف المنغصات واذا أحزنك أمر ،
فاسترجع واذا اعترتك غفلة ؛ فاستغفر واجعل الموت نصب
عينك والعلم والتقى زادك الى الآخرة واذا أردت أن تعصى
الله ، فاطلب مكاتا لا يراك فيه . واعلم أن الناس عيون الله
على العبد يريهم خيره وان أخفاه ، وشره وان ستره فباطنه
مكشوف لله والله يكشفه لعباده فعليك أن تجعل باطنك خيرا
من ظاهرك وسرك أصح من علانيتك ولا تتألم اذا عرضت
عنك الدنيا فلو عرضت لك ، لشغلتك عن كسب الفضائل .
وقلما يتعمق في العلم ذو الثروة الا أن يكون شريف الهممة
جدا أو أن يثرى بعد تحصيل العلم ، وانى لا أقول ان الدنيا
تعرض عن طالب العلم بل هو الذى يعرض عنها ، لأن همته
مصروفة الى العلم فلا يبقى له التفات الى الدنيا والدنيا انما
تحصل بحرص وفكر في وجوها فاذا غفل عن أسبابها لم
تأته . وأيضا فان طالب العلم تشرف نفسه عن الصنائع
الرزلة والمكاسب الدنية وعن أصناف التجارات وعن التذلل
لأرباب الدنيا والوقوف على أبوابهم ولبعض اخواننا بيت
شعر :

من جد فى طلب العلوم أفاته شرف العلوم دناءة التحصيل
وجميع طرق مكاسب الدنيا تحتاج الى فراغ لها وحذق
فيها وصرف الزمان اليها والمشتغل بالعلم لا يسعه شيء من
ذلك ، وانما ينتظر أن تأتية الدنيا بلا سبب وتطلبه من غير
أن يطلبها طلب مثلها وهذا ظلم منه وعدوان ولكن اذا تمكن

الرجل فى العلم وشهر به خطب من كل جهة وعرضت عليه المناصب وجاءته الدنيا صاغرة ، وأخذها وماء وجهه موفور وعرضه ودينه مصون ، واعلم أن للعلم عبقة وعرفا ينادى على صاحبه ونورا وضياء يشرق عليه ويدل عليه كتاجر المسك لا يخفى مكانه ولا تجهل بضاعته ولكن يمشى بمشعل فى ليل مدلهم * والعالم مع هذا محبوب أينما كان وكيفما كان لا يجد الا من يميل اليه ويؤثر قربه ويأنس به ويرتاح بمداناته واعلم أن العلوم تغور ثم تغور ، تغور فى زمان وتغور فى زمان * بمنزلة النباتات أو عيون المياه وتنتقل من قوم الى قوم ومن صقع الى صقع * (ومن) كلامه أيضا نقلته من خطه قال : اجعل كلامك فى الغالب بصفات أن يكون وجيزا فصيحاً فى معنى مهم أو مستحسن فيه الغاز ما وايهام كثير أو قليل ولا تجعله مهملًا ككلام الجمهور بل رفعه عنهم ولا تباعده عليهم جدا * وقال : اياك والهذر والكلام فيما لا معنى ، واياك والسكوت فى محل الحاجة ورجوع النوبة اليك اما لاستخراج حق أو اجتلاب مودة أو تنبيه على فضيلة واياك والضحك مع كلامك وكثرة الكلام وتبثير الكلام بل اجعل كلامك سردا بسكوت بحيث يستشعر منك أن وراءه أكثر منه وانه عن خميرة سابقة ونظر متقدم * وقال : اياك والغلظة فى الخطاب والجفاء فى المناظرة ، فان ذلك يذهب ببهجة الكلام ويسقط فائدته ويعدم حلاوته ويجلب الضغائن ويمحق المودات ويصير القائل مستثقلا سكوته أشهى الى السامع من كلامه ويثير النفوس على معاندته ويبسط الألسن بمخاشنته واذهب حرمة * وقال : لا ترتفع بحيث تستثقل ولا تتنازل حيث تستخس وتستحقر * وقال : اجعل كلامك كله جزلا ، وأجب من حيث تعقل لا من حيث تعناد وتألف * وقال : انتزح عن عادات الصبا وتجرد عن مألوفات الطبيعة

واجعل كلامك لاهوتيا في الغالب لا ينفك من خبر أو قرآن
أو قول حكيم أو بيت نادر أو مثل سائر . وقال : تجنب
الوقية في الناس وثلب الملوك والغلظة على المعاشرة
وكثرة الغضب وتجاوز الحد فيه . وقال : استكثر من
حفظ الأشعار الأمثالية والنوادر الحكمية والمعاني
المستغربة . (ومن) دعائه رحمه الله قال : اللهم أعذنا من
شموس الطبيعة وجموح النفس الردية وسلس لنا مقادا
لتوفيق ، وخذ بنا في سواء الطريق يا هادي العمى يا مرشد
الضلال يا محيي القلوب الميتة بالايمان يا منير ظلمة الضلالة
بنور الانقاذ خذ بأيدينا من مهواة الهلكة نجنا من ردة
الطبيعة طهرنا من درن الدنيا الدنية بالاخلاص لك والتقوى
انك مالك الآخرة والدنيا .

متن کتاب

الإفاعة والاعتبار في الأمور

المشاهدة والحول والعمارة

بأرض مصر

الفصل الأول

فى خواص مصر العمامة

ان أرض مصر من البلاد العجيبة الآثار ، الغربية الأخبار .
وهى واد يكتنفه جبالان شرقى وغربى * والشرقى أعظمهما .
يبتديان من أسوان ويتقاربان باسنا(١) حتى يكادا يتماسان
ثم ينفرجان قليلا قليلا * وكلما امتدا طولا انفرجا عرضا
حتى اذا حاذيا القسطاط كان بينهما مسافة يوم فما دونه *
ثم يتباعدان أكثر من ذلك والنيل ينساب بينهما ويتشعب
بأسافل الأرض وجميع شعبه تصب فى البحر المالح (٢) *
وهذا النيل له خاصتان : الأولى - بعد مرماه * فانا
لا نعلم فى المعمورة نهرا أبعد مسافة منه ؛ لأن مبادئه عيون

(١) اسنا الحالية وهى من المدن القديمة ، وكان اسمها المقدس هو مات خنومو
Hat Khounoumou ويعنى قصر الاله خنومو * واسمها القبطى سنى Seni
أو سنا Sna أو اسنى Esni ومنه اسمها العربى : اسنا وسمها الرومان
لاتوبولس Latopolis ، وهى غربى النيل ، وأنصار إليها الأسعد بن ممانى فى كتابه
قوانين الدواوين باعتبارها من أعمال قوص * القاموس الجغرافى لحمد رمزى ج ٤ من
القسم الثانى ، ص ١٥١-١٥٢ .

(٢) المقصود بأسافل الأرض منطقة الدلتا ، وقد استخدم المؤلف هذا التعبير للدلالة
على الدلتا فى أكثر من موضع من كتابه ، ويفهم من التعبير أنه كان للنيل أكثر من فرعين
فى أواخر القرن السادس للهجرة (الثانى عشر للميلاد) *

تأتي من جبل القمر وزعموا أن هذا الجبل وراء خط الاستواء
 بأحدى عشرة درجة * وعرض أسوان وهي مبدأ أرض مصر
 اثنتان وعشرون درجة ونصف درجة * وعرض دمياط وهي
 أقصى أرض مصر إحدى وثلاثون درجة وثلث درجة * فتكون
 مسافة النيل على خط مستقيم ثلاثا وأربعين درجة تنقص
 سدسا ومساحة ذلك تقريبا تسعمائة فرسخ ، هذا سوى
 ما يأخذ من التعريج والتوريب فان اعتبر ذلك تضاعفت
 المساحة جدا *

والخاصة الثانية - أنه يزيد عند نضوب سائر الأنهار
 ونشيش (٣) المياه ؛ لأنه يبتدىء بالزيادة عند انتهاء طول
 النهار وتتناهى زيادته عند الاعتدال الخريفي وحينئذ تفتح
 الترع وتفيض على الأراضي * وعلة ذلك أن موائد زيادته
 أمطار غزيرة دائمة وسيول متواصلة تمده في هذا الأوان فان
 أمطار الاقليم الأول والثاني انما تنزر في الصيف والقيظ *
 وأما أرض مصر فلها أيضا خواص منها أنه لا يقع بها
 مطر الا ما لا احتفال به (٤) وخصوصا صعيدها، فأما أسافلها
 فقد يقع بها مطر جود لكنه لا يفي بحاجة الزراعة * وأما
 دمياط والاسكندرية وما داناها فهي غزيرة المطر ومنه
 يشربون وليس بأرض مصر عين ولا نهر سوى نيلها *
 ومنها أن أرضها رملية لا تصلح للزراعة ؛ لكنه يأتيها

(٣) نشيش المياه جفافها ، وهي لسان العرب لابن منظور : « نس الغدير والحوض يش
 نسا ونشيشا . ييس ماؤها ونصب ، وقيل، نس الساء على وجه الأرض نشف وجف
 ونس الرطب ونرى أي ذهب ماؤه ٠٠٠ » ولعل ارتباط قلة العمل أو انعدامه في العامية
 المصرية بتعبير « النش » راجع لهذا ، فإذ خفت المياه فلا زراعة ولا عمل وجلس الفلاح
 « بنش » ولا علاقة انذاك بنش الذباب أو غيره وانما لهذه الكلمة العامية كما اتضح الآن أصل
 « بنش » وفاروس تاريخية وجغرافية *

(٤) لا احتفال به تعبير يعيد أنه - أي المطر - قليل *

طين أسود علك (٥) فيه دسومة كثيرة يسمى الابليز يأتيها من بلاد السودان مختلطا بماء النيل عند مده فيستقر الطين وينضب الماء فيحترث ويزرع • وكل سنة يأتيها طين جديد ؛ ولهذا يزرع جميع أراضيها ولا يراح شئ منها كما يفعل فى العراق والشام لكنها يخالف عليها الأصناف • وقد لاحظت العرب ذلك فانها تقول : اذا كثرت الرياح جادت الحراثة ؛ لأنها تجيء بتراب غريب ، وتقول أيضا : اذا كثرت المؤتفكات (٦) زكا الزرع • ولهذه العلة تكون أرض الصعيد زكية كثيرة الأتاء والريع اذا كانت أقرب الى المبدأ فيحصل فيها من هذا الطين مقدار كثير بخلاف أسفل الأرض فانها أسافة مضوية اذ كانت رقيقة ضعيفة الطين ؛ لأنه يأتيها الماء وقد راق وصفا ولا أعرف شبيها بذلك الا ما حكى لى عن بعض جبال الاقليم الأول أن الرياح تأتيه وقت الزراعة بتراب كثير ثم يقع عليه المطر فيتلبد فيحترث ويزرع فاذا حصد ؛ جاءته رياح أخرى فنسفته حتى يعود أجرد كما كان أولا • ومنها أن الفصول بها متغيرة عن طبيعتها التى لها فان أخص الأوقات باليبس فى سائر البلاد أعنى الصيف والخريف تكثر فيه الرطوبة بمصر بمد نيلها وفيضه لأنه يمد فى الصيف ويطبق الأرض فى الخريف •

(٥) لمى لسان العرب « شئ علك بفتح العين وكسر اللام أى لزح ، وعلك الشئ يعلكه علدا أى مضغه حتى صيره لرجا » ، وقد ورد الفعل لدى الشعراء الجاهلين وهن ذلك قول النابغة الذبياني :

خيل صيام وخيل غير صائمة

تحت العجاج ، وأخرى تعلق اللجما

ولازالت الكلمة مستخدمة فى العامة الشامية بمعنى اللسان وهو السوء الموضوغ المعروف اذ يسمونه علكة •

(٦) المؤتفكات : الرياح التى تقلب الأرض ، والمؤتفكات أيضا الرياح التى تختلف مهاجها • تقول العرب . اذا كثرت المؤتفكات زكت الأرض أى ركا زرعها •

فأما سائر البلاد فإن مياهها تنش في هذا الأوان وتتغزر في
 أخص الأوقات بالرطوبة - أعنى الشتاء والربيع - ومصر
 إذ ذاك تكون في غاية القحولة واليبس ولهذه العلة تكثر
 عفوناتها واختلاف هوائها وتغلب على أهلها الأمراض العفنية
 الحادثة عن أخلاط صفراوية وبلغمية ، وقلما تجد فيهم
 أمراضا صفراوية خالصة ، بل الغالب عليها البلغم حتى في
 الشباب والمحرورين * وكثيرا ما يكون مع الصفراخام * وأكثر
 أمراضهم في آخر الخريف وأول الشتاء لكنها يغلب عليها
 حميد العاقبة وتقل فيهم الأمراض الحادة والدموية الوحية ،
 وأما أصحابهم فيغلب عليهم الترهل والكسل وشحوب اللون
 وكمودته وقلما ترى فيهم مشبوب اللون ظاهر الدم ، وأما
 صبيانهم فضاوون يغلب عليهم الدمامة وقلة النضارة وإنما
 تحدث لهم البدانة والقسامة غالبا بعد العشرين *

وأما ذكأؤهم وتوقد أذهانهم وخفة حركاتهم فلحرارة
 بلدهم الذاتية لأن رطوبته عرضية * ولهذا كان أهل الصعيد
 أفعل جسوما وأجف أمزجة والغالب عليهم السمرة وكان
 ساكنو الفسطاط الى دمياط أرطب أبدانا والغالب عليهم
 البياض * ولما رأى قدماء المصريين أن عمارة أرضهم إنما هي
 بنيلها جعلوا أول سنتهم أول الخريف وذلك عند بلوغ النيل
 الغاية القصوى من الزيادة *

ومنها أن الصبا (٧) محجوبة عنهم بجبلها الشرقي المسمى
 المقطم ، فإنه يستتر عنها هذه الريح الفاضلة وقلما تهب عليهم

(٧) الصبا ريح معروفة تقابل الدبور ، ولمى الصحاح : الصبا ريح ومهبها المستوى
 أن تهب من موضع مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار * عن لسان العرب لابن
 منظور / مادة : ص.ب.و *

خالصة اللهم الا نكيا - ولهذا اختار قدماء المصريين أن يجعلوا مستقر الملك منف ونحوها مما يبعد عن هذا الجبل الشرقى الى الغربى واختار الروم الاسكندرية وتجنبوا موضع الفسطاط؛ لقربه من المقطم فان الجبل يستتر عما فى لحفه أكثر مما يستتر عما بعد منه * ثم ان الشمس يتأخر طلوعها عليهم فيقل فى هوائهم النضج ويبقى زمانا على نهوة الليل؛ ولذلك تجد المواضع المنكشفة للصبيا من أرض مصر أحسن حالا من غيرها ولكنرة رطوبتها يتسارع العفن اليها ، ويكثر فيها الفار ويتولد من الطين والعقارب وتكثر بقوص (٨) كثيرا ما تقتل بلبسها والبق المنتن والذباب والبراغيث تدوم زمانا طويلا *

ومنها أن الجنوب اذا هبت عندهم فى الشتاء والربيع وفيما بعد ذلك كانت باردة جدا ويسمونها المريسى (٩) لمرورها على أرض المريس وهى من بلاد السودان * وسبب بردها مرورها على برك ونقائع * والدليل على صحة ذلك انها اذا دامت أياما متوالية عادت الى حرارتها الطبيعية واسخنن الهواء وأحدثت فيه يبسا *

(٨) قوص ، من النواحي القديمة واسمها الاصلى قمولة ، والقبطى Kamouli غرب النيل ، ومن قراها القديمة الحراجيه ، والشعرانى والمسيد والمرجيه وجراجرس وذنابق وشنهور وطوخ وعباسة * عن القاموس الجغرافى للبلاد المصرية لمحمد رمزى ق ٢ / ج ٤ / ١٨٣ - ١٩١ *

(٩) هناك أيضا مناطق وقرى فى مصر يطلق عليها اسم المريس ، ومن ذلك قرية بهذا الاسم تابعة للملاصر وهى من القرى القديمة * القاموس الجغرافى للبلاد المصرية لمحمد رمزى ق ٢ / ج ٤ / ص ١٦٣ *

الفصل الثانى

فيما تختص به من النبات

من ذلك البامية (١) وهى ثمر بقدر ابهام اليسد كأنه جراً (٢) القثاء شديد الخضرة ، الا أن عليه زيبر (٣) مشوكا وهو مخمس الشكل يحيط به خمسة أضلاع فاذا شق انشق عن خمسة أبيات بينها حواجز * وفى تلك الأبيات حب مصطف مستدير أبيض أصغر من اللوبيا (٤) هس يضرب الى الحلاوة وفيه قبض ولعابية كثيرة يطبخ أهل مصر به اللحم بأن يقطع مع قشوره صغارا ويكون طعاما لا بأس به ، الغالب على

(١) من الفصيلة الخبازية ثمارها تؤكل مطبوخة قبل أن تقسو أى قبل أن تقترب من الجفاف ، وقد اعتمد معجم الشهابى لمصطلح العلوم الزراعية ما أورده عبد اللطيف البغدادى فى الافادة والاعتبار (وهو الكتاب الذى بين أيدينا الآن) كمصدر أساسى لتوثيق اللفظ العربى . المقابل العلمى . *Hibiscus esculentus* .

– معجم الشهابى لمصطلحات العلوم الزراعية ، ماده *okra* .

– معجم المصطلحات العلمية ليوسف خياط عربى – انجليزى – مادة بامية .

(٢) جراً بدون همز ، والهمز فى هذه الطبعة خطأ مطبعى ، وهو الجرو (بكسر الجيم) والجروه (بكسر الجيم أيضا) الصغير من كل شئ حتى من الحنظل والبطيخ والقثاء والزمان والخيار والبانجان ٠٠٠ الخ . راجع لسان العرب لابن منظور مادة (جرو) .

(٣) فى لسان العرب : الزبرة الشعر المجتمع للفحل والاسد وغيرها ٠٠ ورجل أزيد كثير الشعر ، وكل شعر مجتمع فهو زبرة ، والمقصود أن على البامية ما يشبه الودر أو الزغب .

(٤) المقصود يشبه اللوبيا .

طبعه الحرارة والرطوبة ولا يظهر في طبيخه قبض بل لزوجة .

ومن ذلك الملوخية ويسميتها الأطباء الملوكية . ولعمري هي الخبازى البستمانى ، والخطمى (٥) أيضا نوع من الخبازى (٦) البرى . والملوخية أشد مائية ورطوبة من الخبازى وهى باردة رطبة فى الأولى تزرع فى الباقل (٧) ويطبخ لها اللحم ، وهى كثيرة اللعابية وتزرع أيضا بالشام قليلا ويطبخ بها عندهم فى الندرة وهى ردية للمعدة ؛ لكنها تسكن الحرارة وتبرد ويسرع انحدارها لتزلقها . قال الاسرائيلى (٨) : رأيت نوعا ثالثا من الخبازى يسمى بمصر ملوخية السودان ويعرف بالعراق بالشوشندييا وقوته وفعله وسط بين الملوخية والخبازى ؛ لأنه أقل غذاء من الملوخية وأكثر من الخبازى .

(٥) خطم أو خطمى جنس نبات من الخبازيات فيه أنواع برية ومن أنواعه المشهورة الخطمى الوردى . أشار اليه الشهابى فى معجمه تحت المصطلحين التالين *Althaea* و *Ketmia* ، ويلاحظ أن المصطلح الأول تحريف للكلمة العربية . وقد أورد الشهابى أنواعا عديدة منه يستبعد أن تكون ما أشار اليه البغدادي منها :

– وردة العين – يزرع لزهره .

– خطمى المنافع – يزرع لزهره .

– خطمى عسكرى – يزرع لزهره .

– وخطمى وردى أو دمشقى *Alcea Rosea* .

راجع معجم المصطلحات العلمية لخياط ، ومعجم الشهابى .

(٦) خبازة (بتشديد الباء وفتحها) أو خباز أو خبارى (بالفتح مقصورة – بفتح الزاى) والخبيز هو جنس نبات من الفصيلة الخبازية فيها أنواع تستخدم لى الطب وأنواع تؤكل ببلوغ ورقه . وردت فى معجم الشهابى لمصطلحات العلوم الزراعية تحت *Malva* . راجع : معجم المصطلحات العلمية ليوسف خياط / مادة خسر ومعجم الشهابى – مادة *Malva* .

(٧) تزرع فى الباقل أى فى أرض لا شجر فيها ، وفى ابن منظور « قال ابن جنى : مكان ميقل هو القياس ، وبأقل أكثر فى السماع ، والأول مسموع أيضا » وقال الأصمعى : أبقل المكان فهو بأقل من نبات البقل ، وأورس الشجر فهو وأرس إذا أورق . . . والبقل هو مالا تبقى له أرومة بعد أن يرعى ، وفى المثل : لا تنبت البقلة الا الحقلة ، والحقلة هى الأرض الطيبة .

(٨) عن الاسرائيلى راجع المقدمة .

ومن ذلك اللبخ (٩) وشجرته - كالسدره (١٠) - ريا نضرة وثمرته بقدر الخلال الكبار وفي لونه ، الا انه مشبع الخضرة كلون المسن ، وما دام فيا ففيه قبض كما في البلح فاذا نضج طاب وحلا وعادت فيه لزوجته ونواته كنسوة الأجاجس (١١) أو كقلب اللوزة بيضاء الى الغبرة وتكسر بسهولة ، فتتفلق عن لوزة ريا بيضاء لينة واذا بقيت ثلاثة أيام ضمرت وصلبت . وكلما تطاول عليها الزمن اضمحل اللب وبقي القشر فارغا أو كالفارغ ، غير أنه لا يتشنج بل يتقلقل اللب فيه لسعة المكان عليه ، وتجد في طعم اللب مرارة ظاهرة ولدعا يبقى أثره في اللسان مدة . وقد حدث على أنه أحد ضروب الدند (١٢) الثلاثة ، فقد قال

(٩) اللبخ ، شجر من فصيلة القرنيات ، الواحدة لبخة وردت في معجم الشهابي عند :
Lebbek tree , Lebbek Albizza .

- عن معجم المصطلحات العلمية ليوسف خياط ، ومعجم الشهابي لمصطلحات العلوم الزراعية .

(١٠) المقصود هنا شجر النبق . معجم المصطلحات العلمية لخياط .

(١١) الأجاجس - في معجم الشهابي أن عبد اللطيف البغدادي أشار اليه في كتاب الافادة والاعتبار (وهو الكتاب الذي بين أيدينا الآن) وهو الخوخ أو خوخ الدب بالشام وجعل له الشهابي مقابلا علميا Prunus Ursina (bear plum) وفي موضع آخر يذكر معجم الشهابي أجاجسا أهليا أو شائعا ، وهو النوع الزراعي المشهور يسمى البرقوق في مصر والخوخ في الشام (مادة plum tree) .

(١٢) فيما يلي ما ورد في تذكرة داود عن نبات الدند :

(دند) هو المعروف الآن بمصر والشام بحبة الملوك وليس كذلك كما سيأتي ويسمى الحروع الصيني ، منه ما يجلب من سمندر وتناصر وغيرهما من مدن الصين وهو أبيض يضرب ظاهره الى الصفرة دقيق القشر ونوع يجلب من كنيابة والدكن ويعرف بالهندي ويقرب من الاول الا أن فيه نقطاً سودا وصنف يجلب من الشجر وأطراف عمان أسود صغير لا يجوز استعماله لرداءته وهذا الحب يكون ثفي شجرة نحو ذراع ورقها كورق البانجان لكن ادق يسيرا وزهره كالكواته ينشأ في غلف دقاق الى خضرة يدرك بمسرى فاذا رفع تبقى قوته سبع سنين في بلده وثلاثة في غيرها وهو حار يابس في اول الرابعة ينفع من الاستسقاء واليرقان وأرجاع المغاسل والظهر والساقين والبركين والنقرس والخام والحصى ويفتح السدد ويمنع الشيب ويسود الشعر والهند تسعمله في المعاجين الكبار ولاهل الصين فيه مزيد رغبة من أدوية الأقاليم الباردة والمشايخ ولا يجوز لضعاف الأرواح كدصر والحجاز ولا لكثيرى التحليل كالحبشة وهو مكرب مغث شديد الغص =

أرسطو وغيره ان اللبخ كان بفارس سما قاتلا فنقل الى مصر فصار غذاء * وقال نيقولاوس : وأما اللبخ فقد كان فى أرض فارس قاتلا فنقل الى الشام والى مصر فصار جيدا مأكولا وهو قليل غال وانما تكون فى البلاد منه شجرات معدودات ، وأما خشبه ففى غاية الجودة صلب حجرى وأسود وهو عزيز ثمين واهل مصر يحضرون اللبخ مع الفواكه والأنتقال * وقال أبو حنيفة الدينورى (١٣) : اللبخ شجرة عظيمة مثل الاثاب (١٤) اذا عظم ، وورقها كورق الجوز ولها جنا كجنا (١٥) الحمام مر اذا كل أعطش واذا شرب عليه الماء نفخ البطن ، وهو من شجر الجبال ، ثم روى عن رجل من صعيد مصر أن اللبخ شجر عظام أمثال الدلب (١٦) ، له ثمر أخضر يشبه الثمر حلو جدا ، الا أنه كرية جيد

= يحل القوى ويقىء وربما قتل الاسهال لمن لا يعرف قانونه وبين نصفى حبه اذا انقسمت لسان دقيق أشد ضررا من البيش فينبغى رفعه ويصلحه التبريد والبسفايج والزعفران والاشقيل والورد المنزوع والانيسون والكثيرا والهندي مجموعة ومفردة فانه معها يستقى الاخلاط وينقى من الكيموسات الرديئة وينبغى شرب الماء البارد عليه واللبن ونحو رب الريباس والحصرم وشربته الى دانقين وفيه شعبية اذا بليت به الاصبغ ووضعت على جفن العين ورم يصلحه الشيرج أو الزيت وبدله حب التيل *

(١٣) أبو حنيفة الدينورى هو أحمد بن داود بن وندد (بفتح الواو والنون الأولى وسكون النون الثانية) الدينورى (بتشديد الدال وفتحها وفتح النون وكسر الزاء) ، وكنيته * أبو حنيفة * مهندس ومؤرخ وعالم نبات من كتبه المبلوغة : الأخبار الطوال ، وكتاب النبات ، وتفسير القرآن ١٣ مجلدا ، والشعر والشعراء ، والفصاحة والحدس والمقابلة ، توفى سنة ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م * الاعلام لخير الدين الزركلى / ج ١ ، ص ١٢٣ *

(١٤) الاثاب يشبه الجميز (بين الجميز والتين) الشهابى / مادة (Ficus) .
(١٥) الحمام ، بفتح الحاء والميم ، أورده معجم الشهابى تحت الاسم العلمى Ficus Pseudosy Comporus وهو الحمير الكاذب ويسمى أيضا تين الجبل *
أما جنا فلعله خطأ مطبعى أو أملائى ، والمصحح جنى ، وفى لسان العرب لابن منظور « وأجنت الشجرة اذا صار لها جنى يجنى فيؤكل » *
لسان العرب / مادة (ح ن ي) ولم نجده فى (ج ن و) *

(١٦) الدلب من شجر الزينة (معجم المصطلحات الفنية) وفى معجم الشهابى ان اسمه أيضا همنار بكسر الصاد وهناك خلاف فى دلالات الاسم أوردها الشهابى *

لوجع الأضراس ، قال : واذا نشر أرغف ناشره وينشر فيبلغ ثمن اللوح خمسين دينارا ويجعله أصحاب المراكب في بناء السفن لبعض العلل ، وزعم أنه اذا ضم منه لوحان ضما شديدا وجعلا في الماء سنة التحما وصارا لوحا واحدا • واكثر ما حكاه الدينورى لا أعرف صحته • وقال ابن سمجون (١٧) : اللبخ يكون بمصر وثمرته جيدة للمعدة وقد يوجد عليه صنف من الرتيلاء (١٨) وورقه اذا جفف قطع الدم ذرورا ، والاسهال شربا ، وفيها قبض بين • قال : وأما نوى ثمره ، فيزعم أهل مصر أن أكله يحدث صمما •

ومن ذلك الجميز وهو بمصر كثير جدا ورأيت منه شيئا بمسقلان والساحل ؛ وكأنه تين برى وتخرج ثمرته في الخشب لا تحت الورق ويخلف في السنة سبعة بطون ويؤكل أربعة أشهر ويحمل وقرا عظيما وقبل أن يجيء بأيام يصعد رجل الى الشجرة معه حديدة يسم بها حبة حبة من الثمرة فيجري منها لبن أبيض ، ثم يمسود الموضع وتحلو الثمرة بذلك الفعل • وقد يوجد منه شيء شديد الحلاوة أحلى من التين ؛ لكنه لا ينفك في أواخر مضغه من طعم خشبية ما • وشجرته كبيرة كشجرة الجوز العاتية ويخرج من ثمره وغصنه اذا فصد لبن أبيض اذا طلى على ثوب أو غيره صبغه أحمر •

(١٧) هو حامد بن سمجون (بفتح السين وضم الجيم) وكنيته . أبو بكر • له كتاب في الأدوية • توفي حوالى سنة ١٠١٠/هـ ١٠٤٠٠ م • راجع عنه . طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة •

(١٨) الرتيلاء - بتشديد الراء وفتحها ويسمى أيضا الرتيلا بلا همز وهو عشب ينبت في شمال أفريقيا وأوربا ويسمى أحيانا جذامير ومفرده جذمور أو جذمار ، وأوراقه تشبه أوراق الحشائش وأزهاره بيضاء متبلية ، ويسمى الرتيلاء أيضا نبات زهرة العنكبوت ، من الفصيلة الزمبقية Liliaceae • وفي المعجم نفسه أن بذوره مدرة للطمث والبول وضد لدغ العقرب والعناكب السامة - معجم المصطلحات العلمية والفنية ليوسف خياط •

وخشبه تعمر به المساكن ويتخذ منه الأبواب وغيرها من الآلات الجافية. وله بقاء على الدهر وصبر على الماء والشمس * وقلما يتأكل هذا مع أنه خشب خفيف قليل اللدونة ويتخذ من ثمرته خل حاذق ونبيذ حاذق *

قال جالينوس : الجميز بارد رطب فيما بين التوت والتين وهو رديء للمعدة ولبن شجرته له قوة مليونة تلصق الجراح وتفش الأورام ويلطخ على لسع الهوام ويحلل حساة الطحال وأوجاع المعدة ضمادا ، ويتخذ منه شراب للسعال المتقادم ونوازل الصدر والريه * وعمله بأن يطبخ في الماء حتى تخرج فيه قوته ويطبخ ذلك الماء مع السكر حتى ينعقد ويرفع * وقال أبو حنيفة : ومن أجناس التين تين الجميز وهو تين حلو رطب له معاليق طوال ويزيب ، وضرب آخر من الجميز حمله كالتين في الخلقة وورقه أصفر من ورق التين وتينه أصفر صغار وأسود ويكون بالقور ويسمى التين الذكر ، والأصفر منه حلو والأسود يدمى الفم وليس لتينه علاقة بل لاصق بالعود *

ومن ذلك البلسان (١٩) ، فإنه لا يوجد اليوم الا بمصر بعين شمس في موضع محاط عليه محتفظ به مساحته نحو سبعة أقدنة وارتفاع شجرته نحو ذراع وأكثر من ذلك ، وعليها قشران الأعلى أحمر خفيف والأسفل أخضر. ثخين ، وإذا مضغ ظهر في الفم منه دهنيته ورائحة عطرة وورقه شبيه بورق السنداب ، ويجتنى دهنه عند طلوع الشعري. بأن تشدخ السوق بعد ما يحث عنها جميع ورقها وشدخها يكون بحجر يتخذ محمدا ، ويفتقر شدخها الى صناعة بحيث يقطع

(١٩) البلسان : أورده يوسف خياط في بلسم دون أن يذكر أنه هو البلسان وقال انه نبات زراعي عطري من المركبات أنبوبية الزهر * وضبطه معجم الشهابي بفتح الباء واللام وجعله مرادفا للخمان بفتح الخاء والميم ، اما المقابل الاجنبي فهو elder (Sambucus) .

القشر الأعلى ويشق الأسفل شقا لا ينفذ الى الخشب فان نفذ الى الخشب لم يخرج منه شيء * فاذا شدخه كما وصفنا أمهله ريثما يسيل لثاه (٢٠) على العود فيجمعه باصبعه مسحا الى قرن فاذا امتلأ صبه فى قناني زجاج ولا يزال كذلك حتى ينتهى جناه وينقطع لثاه ، وكلما كثر الندى فى الجو كان لثاه أكثر وأغزر ، وفى الجذب وقلة الندى يكون اللثا أنزر (٢١) ومقدار ما أخرج منه فى سنة ست وتسعين وخمسائة ، وهى عام جذب ، نيف وعشرون رطلا * ثم تؤخذ القناني فتدفن الى القبيط وحمارة الحر وتخرج من الدفن وتجعل فى الشمس ثم تتفقد كل يوم فيوجد الدهن وقد طفا فوق رطوبة مائية وأثقال أرضية فيقطف الدهن ثم يعاد الى الشمس ولا يزال كذلك يشمسها ويقطف دهنها حتى لا يبقى فيها دهن فيؤخذ ذلك الدهن ويطبخه قيمه فى الخفية لا يطلع على طبخه أخدا ثم يرفعه الى خزانة الملك * ومقدار الدهن الخالص من اللثا بالترويق نحو عشر الجملة * وقال لى بعض أرباب الخبرة ان الذى يحصل من دهنه نحو من عشرين رطلا ورأيت جالينوس يقول : ان أجود دهن البلسان ما كان بأرض فلسطين وأضعفه ما كان بمصر * ونحن فلا نجد اليوم منه بفلسطين شيئا البتة وقال نيقولاوس فى كتاب النبات : ومن النبات ما له رائحة طيبة فى بعض أجزائه ومنه ما رائحته الطيبة فى جميع أجزائه كالبلسان الذى يكون فى الشام بقرب بحر الزفت والبير التى يسقى منها تسمى بير البلسم وماؤها

(٢٠) فى لسان العرب لابن منظور اللثى شيء يسقط من الشجر وقيل اللثى شيء تنضج ساق الشجرة ، وقيل : اللثى ما دق من العلوك حتى يسيل فيجرى ويقطر * واللثى ما سال من ماء الشجر من ساقها وهناك من ينطقها لثا بالهمز *
(٢١) النزر أى القليل التافه - بفتح النون وتسكين ما بعدها *

عذب * وقال ابن سميون انما يوجد في زماننا هذا بمصر فقط ويستخرج دهنه عند طلوع كلب الجبار، وهو الشعري، وذلك في شباط ومقدار ما يخرج ما بين خمسين رطلا الى ستين ويباع في مكانه بضعفه فضة * وكانت هذه الحال قد كانت في زمن ابن سميون وحكى عبد الرازق أن بدله دهن الفجل وهذا بعيد والبلسان الدهنى لا يثمر وانما تؤخذ منه فسوخ فتغرس في شباط فتعلق وتنمى وانما الثمر للذكر البرى ولا دهن له ويكون بنجد وتهامه وبرارى العرب وسواحل اليمن وبأرض فارس ويسمى البشام ويربى قشره قبل استخراج دهنه فيكون نافعا من جميع السموم ، وأما خواصه ومنافعه فالأليق بها غير هذا الكتاب *

ومن ذلك القلقاس ، وهو أصول بقدر الخيار ومنه صغار كالأصابع يضرب الى حمرة خفيفة يقشر ثم يشقق على مثل السلجم (٢٢) وهو كشف مكتنز يشابه الموز الأخضر الفج في طعمه وفيه قبض يسير مع حرافة قوية وهذا دليل على حرافته ويبسه فاذا سلق زالت حرافته جملة وحدث له مع ما فيه من القبض اليسير لزوجة مغرية كانت فيه بالقوة ، الا أن حرافته كانت تخفيها وتستترها ولذلك صار غذاؤه غليظا بطيء الهضم ثقيلًا في المعدة ، الا أنه لما فيه من القبض والغلاصة صار مقويا للمعدة حابسًا للبطن اذا لم يكثر منه * ولما فيسه

(٢٢) السلجم أو الشلجم كما ورد في معجم يوسف خياط للمصطلحات العلمية هو اللفت * وفي المعجم نفسه أن الكلمتين اطلقتا في الاصطلاح الحديث ، أي منذ القرن الماضي (التاسع عشر) على هذا النبات ؛ لأن بعض النباتيين يجعلونه هو واللفت نوعا واحدا ، والسلجم من الفارسية نبات زراعى دهنى من الفصيلة « الصليبية » * وان صح ما ورد في المعجم يكون ما أشار اليه البغدادي ليس هو اللفت المعروف ، وانما نبات شبيه به لأن البغدادي كتب كتابه سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٠ م * والمسألة تحتاج لبحث الاخصائيين *

من اللزوجة والتخيرية صار نافعا من سحق المعاء (٢٣) ،
 وقشره أقوى على حبس البطن من جرمة ؛ لأن قبضه أشد
 ويطبخ في السماقية (٢٤) وغيرها فيعود في المرقة
 لزوجة يماقها من لا يعتادها ، ولكن اذا سلق وصبت
 سلاقتة ثم قلى بالدهن حتى يتورد فلا بأس به * والغالب على
 مزاجه الحرارة والرطوبة ، ويظهر من حاله أنه مركب من
 جوهريين : جوهر حار حريف يذهب بالطبخ وجوهر أرضي
 مائي ينمو بالطبخ * وذلك كما في البصل والثوم وما كان
 كذلك فهو نيئا دوائى ومطبوخا غذائى وقد رأيت به بدمشق
 لكن قليلا * ورأيت أنه اذا يبس يرجع خشبيا كالقسط (٢٥)
 سواء * وأما ورقه فورق مستدير واسع على شكل خف البعير
 سواء لكنه أكبر منه ويكون قطر الورقة ما بين شبر أو شبرين
 أو ورقة قضيب مفرد في غلظ الاصبع وطول شبرين أو
 أزيد وتنبات كل قضيب من الأصل الذى فى الأرض ، اذ ليس
 لهذا النبات ساق ولا ثمر أيضا وورق القلقاس ، شديد
 الخضرة رقيق البثرة شبيه بورق الموز فى خضرتة ونعومتة

(٢٣) سحق المعاء - خطأ مطبعي فيما يبدو ، والصحيح سحق المعى ، يقول ابن
 منظور : أخذه فى بطنه سح اذا لان بطنه ، وسح النعام أى ألقى ما فى بطنه ، وسح
 يسح اذا رق ما يجيء منه من الغائط (مادة س ج ج) ، والمعنى بفتح الميم والعين وكذلك
 بكسر الميم وفتح العين من أعفاج البطن فيما يقول ابن سيده ، والجمع الامعاء ، والمعنى
 هو واحد المصرارين ، وفى الحديث : « المؤمن يأكل فى معنى واحد والكافر يأكل فى سبعة
 امعاء » * من هذا يتضح وجود خطأ فى المخطوط أو لعله خطأ مطبعي لكننا نرجح الاحتمال
 الأول *

(٢٤) فى لسان العرب لابن منظور : السحاق بتشديد الميم وفتحها من شجر الجبال
 وله ثمر حامض عناقيد فيه حب صغار يطبخ أما الحبة الحامضة التى يقال لها العبرب
 (بفتح الباء) فهو السماق (بتشديد السين وضمها) الواحدة سماقة (بضم السين
 وتشديد الميم وفتحها) ، وقدر سماقية وعبربية بمعنى واحد (مادة : س م ق) *
 (٢٥) خطأ فى المخطوط أو طبعة مجلة المصرى ، والصحيح قسطل ويسمى فى
 الشام الكستنة ويسمى فى مصر أبو فروة * شجر من الفصيلة البلوطية ، له ثمر يؤكل مشويا
 وهو غنى بالذئسا *

ورونقه ونضارته • وقال ديوسقوريدس : ان لهذا النبات زهرا على لون الورد فاذا عقد عقد شيئا شبيها بالحراب كأنه تفاعا الماء وفيه باقلى صغير أصغر من الباقلى اليونانى يعلو موضعه المواضع التى ليس فيها باقلى فمن أراد أن يزرعه قائما ، يأخذ ذلك الباقلى ويصيره فى كتل طين ويلقيها فى الماء فينبت • ورغم أنه يؤكل طريا ويابساً ، فإنه يعمل منه دقيق يشرب كالسويق ويعمل منه حسو فيقوى المعدة وينفع من الاسهال المرئى وسحوج الأمعاء (٢٦) • وان الشئ الأخضر الذى فى وسطه المر الطعم اذا سحق وخلط بدهن وقطر فى الأذن سكن وجعها •

وقال الاسرائيلى : أما نحن فشاهدنا له زهرا • قال : ورأيت أصل هذا النبات اذا خزن فى المنازل وجاء وقت نباته تفرع من الباقلى اللاصق به فروع وأنبت من غير أن يظهر له زهر ولا ثمر لكن لون الباقلاء نفسها كلون زهر الورد ؛ لأنها حين تبرز وتأخذ فى النبات يخرج ما يبرز منها حسن البياض يعلوه تورده يسير • قال : وما وجدنا له جفافا يمكن معه أن يكون منه سويق ولا رأينا السنة كلها الارطبا مثل بصل النرجس وبصل الزعفران ونحوه ، قال : ولم نر وسطه هذا الأخضر الذى ذكره ديوسقوريدس ولا وجدناه السنة كلها الا كالموز الأخضر • أقول : كلا ، بل الحق ما قاله ديوسقوريدس وانه حتى يقبل السبيحق ويمكن أن يتخذ منه السويق (٢٧) وهذا رأينا عيانا وانه اذا جف لا فرق بينه وبين

(٢٦) الصحيح سحج المعى أو الأمعاء كما أوضحنا فى حاشية سابقة •

(٢٧) السبيحق لم نعثر عليه فى المصادر المتوفرة بين أيدينا أما السويق فى لسان العرب لابن منظور السويق معروف ، والصاد فيه لغلة ، والجمع أسوقه وغيره • والسويق ما يتخذ من الحنطة والشعير • •

الزنجبيل في المنظر، سوى أن القلقاس أكبر وتجد في طعمه حدة ولذعا وأقول عن حدس صناعي مبدؤه المشاهدة والسماع ان القلقاس زنجبيل مصرى أكسبته الأرض رطوبة فقلت حرارته وحدته كما أن الزنجبيل الزنجى والهندي أقوى وأحد من اليمنى ، وأهل اليمن يطبخون به كما يطبخ المصريون القلقاس لكن لا يستكثر منه جدا * ولقد سألت جماعة من التجار وأرباب المعرفة عن منبته باليمن وشكله فكلهم زعم أنه كالقلقاس ، غير أن القلقاس أكبر وكذلك ورقه أكبر من ورق الزنجبيل وقد شاهدته اذا يبس لا فرق بينه وبين الزنجبيل في الصورة مع حدة ، ولذع يسير * وقال له آخر ان نبات الزنجبيل يشبه نبات البصل ، مع أن القلقاس يكون في تلك البلاد وكأنه بستانى ، وقال على بن رضوان : القلقاس أسرع الأغذية استحالة الى السوداء ، وقال غيره من أطباء مصر ان القلقاس يزيد في الباءة * وفي كل نظر لا يليق بهذا الكتاب *

ومن ذلك الموز وهو كثير باليمن والهند ورأيته بالغور وبدمشق مجلوبا ، وكونه من فراخ تظهر من أصل شجرته كما تظهر الفسلان (٢٨) من النخلة ، وتسمى المثمرة الأم فاذا أخذت ثمرتها قطعت هي أيضا وخلفها أكبر نباتها وترتفع قامته الى قامتين وكأنها نخلة لطيفة ، وزعموا أن شجر الموز في الأصل مركب من قلقاس ونوى النخل تجعل النواة في جوف القلقاسة وتغرس ، وهذا القول وان كان ساذجا من دليل يشهد له فالجس يسوغه * وذلك أنه تجد لشجرته سعفا كسعف

(٢٨) الفسلان جمع الجمع لفسيلة ، أما الجمع فهو مسائل وفسيل ، والفسيلة هي الدخيرة من النخل فيما يقول ابن منظور *

النخل سواء ، الا أنك ينبغي أن تتخيل الخوص اتصل بعضه ببعض ، حتى صار كأنه ثوب حرير أخضر قد نشر أوراقه خضرا ترف ريا وطراة ، وكان الرطوبة اكتسبها من القلقاس والشكل اكتسبه من النخل ، وأنت تعلم أن تشقق سعف النخل الى الخوص انما كان من قبل اليبس الغالب على مزاج النخل . ولكثرة رطوبة الموز بقى سعفه متصل الخوص ولم يتشقق ، فعلى هذا يكون القلقاس له بمنزلة المادة والنخل بمنزلة الصورة . وأنت اذا تأملت خشب الموز وورقه بعد يبسه ألفيت فيه تلك الشظايا والخيوط التي تجدها فى جذع النخل وسعفه ، الا أنك تجدها مشوية برطوبة قد ألحمت بينها وملأت فرجها وان كان القلقاس لا ينفك من ذلك أيضا ويتبينه آكله مقلوا . وأما الثمر فانك تراه أعذاقا كأعذاق النخل قد تحمل شجرته خمسمائة موزة فصاعدا ، ويكون فى منتهى العذق موزة تسمى الأم ليس فيها لحم ولا تؤكل ، واذا شققت وجدت مؤلفة من قشور كالبصل كل قشرين منها متقابلان يحتوى كل واحد منهما على نصفها طولا وتحت كل قشر عند القاعدة زهر أبيض بقدر الفستق أو كزهر النارج (٢٩) عدده احدى عشرة فى صفيين لا ينقص عن هذا العدد ولا يزيد الا واحدا نادرا ، فهذا القشر بمنزلة كبرى الطلع (٣٠) ، والزهر بمنزلة الطلع نفسه وتنشق هذه القشور من تلقاء نفسها

(٢٩) النارج بفتح الراء (وينطقها العامة بكسر الراء ، وأحيانا يبدلون النون الفا ممدودة) جعل له معجم الشهابى مقابلا انجليزيا Seville orange او Sour orange او bitter orange ، ثماره لا تؤكل مباشرة فى مصر وانما تملج وتخلل ويسمى فى الشام أبو صفير ، وفى مصر يطعمون به بعض افرع شجر البرتقال أو الليمون فتنتج الشجرة ليمونا وتنتج بعض فروعها نارج ، وكذلك شجر البرتقال .
(٣٠) كبرى بضم الكاف أو فتحها أو كسرهما وهو قنابة تحيط ببعض أشكال الأزهار تكافور الطلعة فى النخل spathe ، وتطلق المصانير العربية على الطلع أحيانا كلمات مثل العذاق (بكسر العين) والكباسة (بكسر الكاف) والقنو (بكسر القاف) ، ومفرد الطلع : الطلعة ، والمقصود هنا أنه يحيط به قنابة تسمى الكافور أو الكفرى .

على التدرج الأعلى فالأعلى ؛ فيظهر ذلك الزهر أبيض بمنزلة البلح وفيه رطوبة حلوة فيتساقط وتعتد عنه الموزة صغيرة فاذا أخذت في النمو قليلا انشق قشر آخر على الرسم ولا يزال كذلك حتى ينتهي العنق ، وتجد قشر الموزة كقشر الرطوبة ، الا انه غليظ جدا بما اكتسبه من مادة القلقاس ، ولحمها حلو فيه تفاهة كانه رطب مع خبز فالحلاوة له من الرطب والتفاهة من القلقاس . وأما شكلها ففى شكل الرطوبة ، الا أنها بقدر الخيارة الكبيرة تميل الى الصفرة والبياض فالصفرة من الرطب والبياض من القلقاس ، وحين ما يقطع يكون شديد الخضرة جدا لا يصلح للأكل فاذا دفن أياما اصفر وصلح للأكل ، ثم انك تجده شحمة واحدة ليس فيها نوى ولا ما يرمى سوى القشر فقط بل تراه كأنه قطعة خبيص (٣١) ناعم المضغ يستترط (٣٢) بسهولة ، واذا أنت تأملتة فى ضياء ، ألفيت فى وسطه حبا كثيرا أصغر من الخردل يضرب الى السواد والشقرة شبيه بحب التين ، لكنه فى غاية اللين فهذا كأنه رسم نوى الرطب ، الا أنه لزيادة رطوبته لان وتفرق واختلط باللحم وانسأغ معه فى الاكل . وله رائحة عطرة لا بأس بها فيها خمرة ما والجشأ العارض لآكله بعد أخذه فى الهضم طيب الرائحة وهو حار رطب ورطوبته أزيد من حرارته وكأنه حار فى الأول رطب فى

(٣١) الخبيص أو الخبيصة بفتح الخاء والمقصود كل شيء كالمربى ، أى ثمارا طبخت بالمسكرو قليل من الماء فاختلفت أجزاؤها وماعت قليلا .

(٣٢) سرت (بفتح السين وكسر الراء) الطعام أو الشيء سرتا وسرطانا أى بلعه واسترطه وازدرده ابتلعه كما فى لسان العرب ، ومن الواضح أن اللفظ حرف فى العامية فأصبح زلط أو خلط (بفتح الزاى أو الظاء) ورجل زلاط أى كثير الأكل وبالفتح سراط ويبدو أن التحريف العامى كان له هدف وهو عدم الخلط بين فعل سرت بمعنى ابتلع وفعل آخر قريب مخرج الحروف بمعنى أخرج ريحا .

الثانية يزيد في المياه ويدرب البول ويحدث تفسخاً (٣٣)، ولا يبعد في طبعه هذا عن الرطب الا بكثرة رطوبته التي اكتسبها من القلقاس . فهذا ان كان من تركيب الصناعة فقد صدق الخبر الخبر . وان كان من تركيب الطبيعة فان لها أيضا تركيبات عجيبة متقنة من أصناف الحيوان والنبات فتكون الموز من جملتها . وقال أبو حنيفة : الموز معادته عمان وتنبت الجوزة نبات البردية لها عنفرة غليظة وورقة عريضة نحو ثلاث أذرع في ذراعين ليست بمنخرطة على نبات السعف لكن شبه المربعة . وترتفع الموزة قامة باسطة ولا تزال فراخها تنبت حولها واحدة أصغر من الأخرى ، فاذا أجرت وذلك ادراك موزها ، قطعت الأم حينئذ من أصلها ، وتؤخذ قنوها (٣٤) ويطلع أكبر فراخها فيصير هو الأم وتبقى البواقي فراخا لها ولا تزال على هذا أمد الدهر . ولذلك قال أشعب (٣٥) لابنه فيما يروى عنه الأصمعي (٣٦) : يا بني لم لا تكون مثلي ؟ فقال أنا مثل الموز لا تصلح حتى تموت أمها . ومن نبات الموز الى اثمارها شهران وبين اطلاعها (٣٧) الى اجرائها أربعون يوما . والموز موجود في

(٣٣) الصحيح غالبا نفجا (بالنون) بمعنى (انفخا) ، راجع مادة (نفج) في لسان العرب .

(٣٤) القنو جعله الخطيب في معجمه مرادفا للكفاة والطلع .

(٣٥) هو أشعب بن جبير الطماع أو الطامع . ويقال له ابن حميدة . وهو من

ظرفاء المدينة وكان مولى لعبدان بن الزبير . قدم بغداد أيام المنصور . انظر . هوات الوفيات ج ١ . تاريخ بغداد .

(٣٦) هو عبد الملك بن قريظ (بضم المعاف وفتح الراء) بن علي بن أصمع الباهلي ، يعرف بابي سعيد الأصمعي ولد ومات بالبصرة . كان كثير التطواف بالبوادى ، راوية شعر مشهور . من كتبه : (الأضداد) و (خلق الانسان) و (الفرق) أى الفرق بين أسماء الأعضاء من الانسان والحيوان ، و (الخيل) ، و (النبات والشجر) توفي

٢١٦ هـ / ٨٣١ م . راجع وفيات الاعيان لابن خلكان

(٣٧) اطلاعها : أى ظهور الطلع بها .

أوطائه السنة كلها ويكون في القنو من أقنائها ما بين ثلاثين موزة الى خمسمائة موزة . ورأيت عند بعض تجار الهند حصرا حسنة لطيفة موشاة ذات وجهين ألوانها أحسن الألوان وأصباغها زهر خالصة كأنها ألوان الحرير عرض الحصير منها نحو ذراعين ونصف وهو أسلة (٣٨) واحدة ليس فيه وصل فجعلت أعجب من طول الأسل الذي يسمى بمصر السمار ، فذكر لي أنه ليس به وإنما هو متخذ من ورق الموز الهندي بأن يؤخذ العسيب (٣٩) فيشقق ويجفف ثم يصبغ وينسج منه هذه الحصير . ويباع الحصير منها في المعبر بدينارين وفيها ما يباع بدرهمين وأراني من كلا الصنفين .

وأما المحمضات فيوجد بأرض مصر منها أصناف كثيرة لم أرها بالعراق ، من ذلك أترج (٤٠) كبار يعز وجود مثله ببغداد ، ومن ذلك أترج حلو ليس فيه حماض ، ومن ذلك الليمون المركب وهو أصناف أيضا ويوجد فيه ما هو بقدر البطيخة ، ومن ذلك الليمون المختم وهو أحمر شديد الحمرة أقتنى حمرة من النارنج شديد الاستدارة مفلطح من رأسه وأسفله مفضوح فيها بختمين .

(٣٨) الأسل ويسمى أيضا الغرز ومن أصنافه الغضور (بتسكين الضاد وفتح الواو) وهو السمار في مصر ، من الصبغة الأسلية وله اغمضان كثيرة دقاق بلا أوراق . سوقه خضراء ذات أطراف حادة غير متفرعة ولا خشب فيها . ينبت في الماء أو الأرض الرطبة وتصنع منه الحصر والغرابيل . وأنواع الأسل كثيرة وصفاتها متباينة لكننا اقتصرنا على النوع المصري لأنه المقصود . معجم يوسف خياط : المصطلحات العلمية والفنية عربي - انجليزي - فرنسي / مادة أسل .

(٣٩) الجمع عسب بضم العين والميم ، أصل الأوراق .
(٤٠) أترج ، وترنج (بضم التاء والراء) ويسمى أيضا كباد (بضم الكاف وفتح الباء وتشديدها) ومثك (بضم الميم وتشديد التاء) ، لكن الكلمة الشائعة في مصر هي أترج . ثمره كبير أصفر لا يؤكل .

ومن ذلك ليمون البلسم وهو فى قدر الابهام وكالبيضة
المطلولة (٤١) ، وفيه ما هو مخروط صحيح يبتدىء من
قاعدة وينتهى الى نقطة ، وأما لونه وريحه وشحمه وحماضه
فلا يغادر من الأترج شيئاً .

وقد يوجد أترج فى جوفه اترج بقشر أصفر أيضا ،
وخبرنى صادق أنه وجد فى جوف أترجة سبع أترجات صفار
كل واحدة يحيط بها قشر تام والذى رأيتُه أنا أترجة فى
جوفها أترجة ليست تامة ، وقد رأيت منه شيئاً بالغور وهذا
الأترج المداخل انما يكون فى ذى الحماض . ثم ان هذه
الأنواع يركب بعضها على بعض فيتولد منها أصناف كثيرة
جدا .

ومن ذلك صنف من التفاح يوجد بالاسكندرية ببستان
واحد يسمى بستان القطعة وهو صفار جدا قانى الحمرة ،
وأما رائحته فتفوق الوصف وتعلو على المسك وهو قليل جدا .
وأما القرط (٤٢) فيسمى بالعراق الرطبة وبالشام
الفضة وبالفارسية أسفست .

وأما النخل فكثير لكن اذا قيست ثمرته بثمره نخل العراق
وجدت كأنها قد طبخت طبخة ، خرج بها معظم حلاوتها
وبقيت ناقصة القوة ، ومما يسميه أهل العراق القسب
يسميه أهل مصر التمر ، وأما التمر بالعراق فيسمى مونه
العجوة وقلما تجد عندهم ما يشابهه تمر العراق الا نادرا
ويكون ذلك نخيلا معدودة تهذى تحفة .

(٤١) لعله يقصد البيضة المسلوقة التى تم تقشيرها ثم ضغط عليها ، وفى لسان
العرب مادة (ط ل ل) « المطلولة جلدة مودونة بلبن محض ياكلونها » وقد استنتجنا
المعنى .

(٤٢) القرط بضم القاف البرسيم ، والقرط بكسر القاف الكراث ، وبمراجعة هذه
المادة فى معجم يوسف خياط يصعب علينا معرفة ما يقصده البغدادى .

وأما الماش (٤٣) وهو الميج ، فلا يزرع بمصر أصلا وإنما يوجد عند العطارين مجلوبا من الشام ويباع بالأوقى للمرضى . وأما الذرة والدخن فلا يعرفان بمصر اللهم الا بالصعيد الأعلى وخاصة الدخن .

ومما تختص به مصر الأفيون وهو يجتنى من الخشخاش الأسود بالصعيد وكثيرا ما يغشه جناته وربما غشوه بالعدرة (٤٤) وعلامة الخالص منه أن يدوب في الشمس ويقد في السراج بلا ظلمة ، وإذا طفي تكون رائحته قوية والمغشوش يسوس سريعا . وأرسطو ينهى عن خلطه بدواء العين والأذن لأنه يعمى ويصم .

ومن ذلك الاقاقيا ، وهو عصارة ورق شجر القرظ (٤٥) وثمره يستخرج مأؤه بالدق والعصر ويجعل في أوان مرحة تلقاء الشمس حتى يغلظ ثم يقرص . هذا هو الخالص الخاص وأما العام الذي يجلب الى البلاد ، فانه يؤخذ القرظ فيطحن ويعجن بماء الصمغ ثم يقبض ويختم ويجفف ، وشجرته هي السنط وتسمى الشوكة المصرية وورقها هو القرظ بالحقيقة ويدبغ به الجلود ، وعصارة القرظ التي يتخذ منها الاقاقيا تسمى رب القرظ ونساء مصر يشربن عصارته ونقيعه للاسهال .

(٤٣) ماش : ورد في معجم الشهابي تحت المسمى العلمي *Vicia Nilotica* وأسماء أيضا *Phaseolus aureus* ولا بد أن الماش الذي أشار اليه البغدادي غير الماش الذي أشارت اليه المعجم العلمية ، لأن ماش البغدادي نبات طبي ، وماش المعاجم نبات قرني يؤكل وهو قاصوليا أو لوبييا ونبات البغدادي يباع بالأوقية ونبات المعاجم لا يباع بهذا الميزان الدقيق ، وماش البغدادي لا يزرع في مصر وإنما يجلب من الشام وماش المعاجم منتشرة زراعته في مصر .

(٤٤) العذرة نبات الكرم أو العنب ، وربما كان هو المقصود . معجم يوسف خياط/مادة

(عذر) .

(٤٥) هو شجر السنط المعروف .

والسنط شجر عظام جدا له شوك كثير حديد صلب
أبيض وله ثمر يسمى خروب القرظ مدور مسطوح مشاكل
لحب الترمس ، الا أنه متصل كقرون اللوبيا وفي داخله حب
صغار ، واذا اتخذ الاقاقيا من القرظ قبل كمال نضجه كان
أكثر قبضا وأقوى على حبس الطبيعة ، واذا اتخذ مما استحکم
نضجه لم يقو على حبس البطن وعلامته أن يكون شديد السواد
مشرق اللون ، وقال الدينوري : القرظ شجر عظام كشجر
الجوز وخشبه صلب كالحديد واذا قدم اسود كالأبنوس ،
وورقه يشبه ورق التفاح ، وله حيلة مثل قرن اللوبيا داخلها
حب يوضع في الموازين ويدبغ بورقه وثمره ومنايته القيعان
والجبال وحيلة القرظ أصغر من علف الطلح ، واذا رعته الأبل
احمرت أفواها وأدبارها حتى أبقارها فتحسبها عصفرا قد
جمع وتسمن عليه * وما كان من القرظ بأرض مصر فهو
السنط وهو ذكي الوقود قليل الرماد ، وله برمة صفراء ليس
لها رائحة زكية كبرم العراق *

ومن ذلك الفصوص وهو قثاء صغار لا يكبر ولا يعدو
أطوله الفتر وأكثره في طول الاصبغ ، وهو أنعم من القثاء
وأحلى ولا شك في أنه صنف منه وكأنه الضفائيس ، أما
القثد فهو الخيار *

ويوجد بمصر بطيخ يسمى العبدلي والعبدلاوى ، قيل
انه نسب الى عبد الله بن طاهر (٤٦) والى مصر عن المأمون *
وأما المزارعون فيسمونه البطيخ الدميرى منسوباً الى

(٤٦) عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق (الخزاعي بالولاء) من
اشهر الولاة في العصر العباسي * أصله من خراسان * تولى امرة مصر سنة ٢١١ هـ ولم
يمكث فيها غير سنة ثم نقل الى ديبور ثم تولى امرة خراسان * اثنى عليه المؤرخون لعلمه
ومعرفته وكرمه * تولى سنة ٢٣٠ هـ (٨٤٤ م) ابن الأثير : الكامل في التاريخ - أحداث
٢٣٠ هـ *

دميرة (٤٧) قرية بمصر وله أعناق ملتوية وقشره خفيف وطعمه مسخ قلما يوجد فيه حلو ويندر فيه ما وزنه ثلاثون رطلا وأكثر . والغالب عليه ما بين رطل الى عشرة أرطال ، وأهل مصر يستطيبونه على البطيخ المولد المسمى عندهم بالخراساني والصيني ويزعمون أنه نافع، ويأكلونه بالسكر وطعمه أشبه شيء بالصنف المسمى بالعراق الشلنق ؛ لكنه ألد منه وأنعم وشكله شكل يقطين العراق ، الا أن لونه حسن الصفرة جدا وفي ملمسه حراشة وتخيش ، وصغاره قبل أن تبلغ تكون كلون اليقطين وشكله وكطعم القثاء ، لها بطون وأعناق وتباع بالفصوص وتسمى العجور ، وأخبرني مزارعه أن العادة جارية بأن ينقى حقله كل يوم فما يرى مزارعه أن يقطعه صغيرا أخضر قطعه وباعه بالعجور ، وما يرى أنه يتركه حتى يكبر ويبلغ ويصفر كان منه البطيخ العبدلي وقلما تجد في بطيخ مصر ما هو صادق الحلاوة ؛ لكنه لا يوجد فيه مدود ولا فاسد بل الغالب عليه التفاهة المائية . وجميع أصناف البطيخ بها يباع بالميزان سوى البطيخ الأخضر . وأما البطيخ الأخضر، فإنه يسمى بالغرب الدلاع وبالشام البطيخ الرنشى وبالعراق البطيخ الرقى ويسمى أيضا الفلستيني والهندي . وأما اليقطين الذي يقصره الجمهور على الدباء ، فيكون بمصر مستطيلا وفي شكل القثاء ويبلغ في طوله الى ذراعين وفي قصره الى شبر . وأما الباقل الأخضر المسمى عندهم بالفول ، فإنه يتواصل نحو ستة أشهر ، وكذلك الورد والياسمين يدوم جميع السنة ولا تزال شجرته مزهرة ومنه أبيض وأصفر والأبيض أكثر وأعطر ومنه يتخذ دهن الزنبق بدمياط .

(٤٧) قرية دميرة مركز طلخا ، وكان اسمها الديميرتين ، القاموس الجغرافي للبلاد

خاصة ، وكذلك الليمون وانما يقل ويكثر فقط • والبنفسج
بمصر عطر جدا لكن لا يحسنون اتخاذ دهنه ولا معجونه •
والسفرجل بمصر رديء جدا صغير عفتص غال • وأما تفاحها ،
فلا بأس به وان كان رديا ، وأما رمانها ففي غاية الجودة ،
الا أنه ليس بصادق الحلاوة •

وأما القراسيا ، فلا يوجد بمصر بل بالشام وبلاد الروم
وغيرهما • وانما بمصر صنف من الأجاص صفار حامض
يسمونه القراسيا ومثل هذا الصنف بدمشق يسمونه خوخ
الدلب ؛ لأن الأجاص بالشام يسمى خوخا والخوخ دراقنا
والكمثرى أجاصا •

ومما يكثر بمصر شجر خيار شنبر وهو شجر عظام شبيه
بشجر الخروب الشامي وزهره كبير أصفر ناضر ذو رواء
وبهجة فاذا عقد تدلى ثمره كالمقارع الخضرة • وبها شجر
اللوز ؛ والسدر بها كثير وثمره النبق حلو جدا ، والتيل
يكثر بها ولكنه دون الهندي •

الفصل الثالث

فيما تختص به من الحيوان

من ذلك حضانة الفرايريج (١) بالزبل، فانه قلما ترى بمصر فرايريج عن حضان الدجاجة وربما لم يفرقوه أيضا، وانما ذلك عندهم صناعة ومعيشة يتجر فيها ويكتسب منها وتجد في كل بلد من بلادهم مواضع عدة تعمل ذلك . ويسمى الموضع معمل الفروج . وهذا المعمل ساحة كبيرة يتخذ فيها من البيوت التي يأتي ذكرها ما بين عشرة أبيات الى عشرين بيتا في كل بيت ألفا بيضة ويسمى بيت الترقيد . وصفته أن يتخذ بيت مربع طوله ثمانية أشبار في عرض ستة في ارتفاع أربعة ويجعل له باب في عرضه سعته شبران وعقد في مثله وتجعل فوق الباب طاقة مستديرة قطرها شبر ثم تسقف بأربع خشبات وفوقها سدة قصب يعنى نسيجا منه وفوقه ساسي (٢) وهو مشاقة الكتان وحطبه . ومن فوق ذلك الطين ثم يرمص بالطوب ويطين سائر البيت ظاهره وباطنه وأعلاه وأسفله ؛ حتى لا يخرج منه بخار وينبغي أن تتخذ في وسط السقف شباكا سعته شبر في شبر فهذا السقف يحكى صدر الدجاجة . ثم تتخذ حوضين من الطين المخمر بساسي طول

(١) الكناكيت .

(٢) الساس أو الساسي عشب جاف وهو المقهور هنا . وفي لسان العرب لابن منظور

السوسى والساس حشيشة وقيل شجر لا الثنان له .

الحوض ستة أشبار وعرضه شبر ونصف وسمكه عقدة اصبع وحيطانه نحو أربع أصابع * ويكون هذا الحوض لوحا واحدا تبسطه على أرض معتدلة * هذا الحوض يسمى الطاجن فاذا جف الطاجنان ركبتهما على طرف السقف أحدهما على وجه الباب والآخر قبالة على الطرف الآخر تركيبا محكما ، وأخذت وصولهما بالطين أخذا متفقما وينبغي أن يكون قعود الطاجنين على خشب السقف بحيث يماسانه * وهذان الطاجنان تحاكي بهما جناحا الدجاجة ، ثم يفرش البيت بقفة تبين ويمهد ويفرش فوقه ضب أو ديس ، يعنى حصيرا برديا على مقداره سواء ، ثم يرصف فوقه البيض رصفا حسنا بحيث يتماس ولا يتراكب لتتواصل الحرارة فيه * ومقدار ما يسع هذا البيت ، المفروض ألفا بيضة وهذا الفعل يسمى الترقيد وان ضاقت الحضانة تمتدىء وتسد الباب بأن ترسل عليه لبدا مهندما ثم تسد الطاقة بساسى والشباك أيضا بساسى وفوقه زبل حتى لا يبقى فى البيت منفس للبخار * وتلقى فى الطاجنين من زبل البقر اليابس (٣) قفتين وذلك ثلاث ويبات (٤) وتوقد فيه نار سراج من جميع جهاته وتهمله ريثما يرجع رمادا وأنت تتفقد البيض ساعة بعد أخرى بأن تضعه على عينك ، وتعتبر حرارته * وهذا الفعل يسمى الذواق فان وجدته يلذع العين قلبته ثلاث تقليببات فى ثلاث دفعات تجعل أسفله أعلاه وأعلاه أسفله * وهذا يحاكي تقليب الدجاجة للبيضة بمنقارها وتفقد اياها بعينها وهذا يسمى السماع الأول ، فاذا صار الزبل رمادا أزلته وتركته بلا نار الى نصف

(٢) استخدم البندادى مصطلحا غير مصرى ، فالصيريون لا يسمونه زبل البقر وإنما جلة (بكسر الجيم وتشديد اللام وكسرهما) وهو روث البقر أو الجاموس يابسا ، ويستخدم كوقود .

(٤) والمفرد وبيبة ، مكياال معروف ، ولا زال يرد فى كلام الفلاحين للدلالة على الكثرة ، كتربلهم « هذا الشيء بالويبة » أى كثير .

النهار ان كان ترقيده بكرة * وان كان ترقيده من أول الليل
 حرسه الى أن تحمى وتسمع النار كالسياقة المتقدمة ثم تخلى
 الطاجنين من النار الى بكرة ، ثم تجعل فى الطاجن الذى على
 باب البيت من الزبل ثلاثة أقداح وفى الطاجن الذى على
 صدر البيت قدحين ونصفا ومد الزبل بمرود غليظ واطرح
 فى كل منهما النار فى موضعين منه وكلما خرجت من البيت
 بعد تفقده فأرخ الستر ، واياك وأن تغفل عنه لئلا يخرج
 البخار ويدخل الهواء فيفسد العمل * واذا كان وقت العشاء
 وصار الزبل رمادا ونزل الدفء الى البيض ، أسفل البيت ،
 فغير الرماد من الطاجن بزبل جديد مثل الأول، وأنت كل وقت
 تلمس البيض وتذوقه بعينك ، فان وجدت حرارته زائدة عن
 الاعتدال تلذع العين ، فاجعل مكان ثلاثة الأكياس لطاجن
 الباب كيلين وربعا ، وفى طاجن الصدر كيلين فقط ولا تزال
 تواصل تغيير الرماد وتجديد الزبل والايقاد حتى لا ينقطع
 الدفء مدة عشرة أيام بمقدار ما تكمل الشخوص بمشيئة الله
 وقدرته ، وذلك نصف عمر الحيوان، ثم تدخل البيت بالسراج
 وترفع البيض واحدة واحدة وتقيمها بينك وبين السراج ،
 فالتى تراها سوداء ففيها الفرخ ، والتى تراها شبه شراب
 أصفر فى زجاج لا عكر فيه فهى لاح بلا بذر وتسمى الأرملة
 فأخرجها فلا منفعة فيها، ثم عدل البيض فى البيت بعد تنقيته
 وأخرج اللاح عنه وهذا الفعل يسمى التلويح * ثم تصبح بعد
 التلويح تنقص الزبل من العيار الأول ملء كفك من كل
 حوض بكرة ومثله عشية حتى ينصرم اليوم الرابع عشر ولم
 يبق من الزبل شيء ، فحينئذ يكمل الحيوان ويشعرن ويتفتح،
 فاقطع اذ النار عنه فان وجدته زائد الحرارة يحرق العين
 فافتح الطاقة التى على وجه الباب وأبقها كذلك يومين ثم ذقه
 على عينك فان وجدته غالب الحرارة فافتح نصف الشباك

وأنت مع ذلك تقلبه وتخرج البيض الذي فى الصدر الى جهة الباب والبيض الذى فى جهة الباب ترده الى الصدر حتى يحمى البارد الذى كان فى جهة الباب ويستريح الحار الذى فى الصدر : يشم الهواء فيصير فى طريقة الاعتدال ساعة يحمى وساعة يبرد ، فيعتدل مزاجه وهذا الفعل يسمى الحضانة كما يفعل الطير سواء ، وتستمر على هذا التدبير دفعتين فى النهار ودفعة فى الليل الى تمام تسعة عشر أيضا فان الحيوان ينطق فى البيض بقدره الله تعالى وفى يوم العشرين يطرح بعضه ويكسر القشر ويخرج وهذا يسمى التطريح وعند تمام اثنين وعشرين يوما يخرج جميعه ، وأحمد الأوقات لعمله أمشير وبرمهاث وبرمودة ، وذلك فى شباط وأذار ونيسان ، لأن البيض فى هذه المدة يكون غزير الماء كثير البذرة صحيح المزاج والزمان معتدل صالح للنشأة والتكوين، وينبغى أن يكون البيض طريا وفى هذه الأشهر يكثر البيض أيضا (٥) .

ومن ذلك الحمير ، والحمير بمصر فارهة جدا ، وتركب بالسروج وتجرى مع الخيل والبغال النفيسة لعلها تسبقها ، وهى مع ذلك كثيرة العدد ومنها ما هو غال بحيث اذ ركب بسرج اختلط مع البغلات ، يركبه رؤساء اليهود والنصارى ويبلغ ثمن الواحد منها عشرين دينارا الى أربعين .

وأما بقرهم فمظيمة الخلق حسنة الصور ، ومنها صنف هو أحسنها وأغلاها قيمة يسمى (البقر الخيسية) وهى ذوات قرون كأنها القسي غزيرات اللبن .

(٥) اشار الرحالة جوزيف بئس (الحاج يوسف) الى هذه الطريقة نفسها بعد ذلك بخمسة قرون تقريبا ، وقد اثار عجب ، وقد ترجمت هذه الرحلة ونشرت فى سلسلة الالف كتاب الثمانى بعنوان رحلة جوزيف بئس الى مصر والحجاز .

وأما خيلها فعتاق سابقة ومنها ما يبلغ ثمنه ألف دينار الى أربعة آلاف ، وهم ينزون الخيل على الحمير والحمير على الخيل فتأتى البغلة وأمها أتان ؛ ولكن هذه البغال لا تكون عظيمة الخلق كالتي أمهاتها مهورة ؛ لأن الأم هي التي تعطى المادة .

ومن ذلك التماسيح . والتماسيح كثيرة فى النيل وخاصة فى الصعيد الأعلى وفى الجنادل فانها تكون فى الماء وبين صخور الجنادل كالودود كثرة وتكون كبارا أو صغارا ، وتنتهى فى الكبر الى نيف وعشرين ذراعا طولا ، وتوجد فى سطح جسده مما يلي بطنه سلعة كالبيضة تحتوى على رطوبة دموية وهى كنافجة المسك فى الصورة والطيب ، وخبرنى الثقة أنه يندر فيها ما يكون فى غلو المسك لا ينقص عنه شيئا والتمساح يبيض بيضا شبيها ببيض الدجاج ، ورأيت فى كتاب منسوب الى أرسطو ما هذه صورته ، قال : التمساح كبده تهيج الجماع وكليته وشحمه فى ذلك أبلغ ولا يعمل فى جلده الحديد ومن فقار رقبته الى ذنبه عظم واحد ولهذا اذا انقلب على ظهره لم يقدر أن يرجع ، قال : ويبيض بيضا طويلا كالاوز ويدفنه فى الرمل ، فاذا أخرج كان كالحراذين فى جسمها وخلقتها ثم يعظم حتى يكون عشر أذرع ويبيض ستين بيضة ؛ لأن خلقته تجرى على ستين سنا وستين عرقا واذا سفد (٦) منى ستين مرة ، وقد يعيش ستين سنة .

ومن ذلك الدلفين ، ويوجد فى النيل وخاصة قرب تنيس (٧) ودمياط .

(٦) قال ابن منظور . السفاد نزو الذكر على الأنثى . وقال الأصمعى يقال للحيرانات كلها سفد (بفتح السين والفاء أو كسر الفاء) انثاء .

(٧) من البلاد المندرسة بين الفرما ودمياط ، وكانت جزيرة ببخيرة المنزلة . القاموس الجغرافى للبلاد المصرية لمحمد رضى / ق ١ ، صص ١٩٧ - ١٩٨ .

ومن ذلك الاسقنقور (٨) ويكون بالصعيد وبأسوان كثيرا ويكون من نتاج التمساح فى البر ، وهو صنف من الورل بل هو ورل الا أنه قصير الذنب ، والورل والتمساح والحردون والاسقنقور وسميكة صيدا لها كلها شكل واحد ، وانما تختلف بالصغر والكبر والتمساح أعظمها وسميكة صيدا أصغرها تكون بقدر الاصبع وتصلح لما يصلح له الاسقنقور من تسخين الأعضاء والانماظ ، وكان التمساح ورل بحرى والورل تمساح برى والجميع يبيض بيضا . السقنقور يكون بشطوط النيل ومعيشتة فى البحر السمك الصغار وفى البر القطا ونحوه . ويستترط غذاءه استراطا (٩) ويوجد لذكورته خصيان كخصى الديكة وفى مقدارهما ومواضعهما ، وانائه تبيض فوق العشرين بيضة وتدفنها فى الرمل فيكمل كونها بحرارة الشمس فعلى هذا انما هو نوع برأسه وقال ديوسقوريدس انه يكون بنواحي القلزم وبمواضع من بلاد الهند وبلاد الحبشة ، ويفارق الورل بماواه فان الورل جبلى والسقنقور برى مائى ؛ لأنه يدخل فى ماء النيل . ثم ان ظهر الورل خشن صلب وظهر السقنقور لين ناعم ولون الورل أصفر أغبر ولون السقنقور مديج بصفرة وسواد ، والمختار من الاسقنقور انما هو الذكر دون الأنثى ويصاد فى الربيع ، لأنه وقت هيجانه للسفاد (١٠) ، فاذا أخذ ذبح فى مكانه وقطعت أطرافه ولا يستقى قطع ذنبه ، ويشق جوفه ويخرج حشوه الا كشيته وكلاه ثم يحشى ملحاً ويخاط ويعلق فى الظل حتى يجف ويرفع ويسقى

(٨) السقنقور من رتبة العطاء قصيرات اللسنة . انظر معجم يوسف خياط

الاذن ذكره .

(٩) أى يبتلعه أو يزدرده . ابن منظور .

(١٠) أى التزاوج - انظر حاشية سابقة .

من كلاه ومتمنه وشحمه وسرته من مثقال الى ثلاثة مثاقيل بماء العسل أو بمطبوخ أو بصفرة بيض نيمرشت (١١) وحده أو مع بزر جرجير وخصى ديوك مجفف مدقوق ، وقد يفعل ملحه ذلك اذا خلط بالأدوية البائية ، وقد يركب مع غيره من الأدوية الا أن استعماله مفردا أقوى له *

ومن ذلك فرس البحر وهذه توجد بأسافل الأرض وخاصة ببحر دمياط ، وهو حيوان عظيم الصورة هائل المنظر شديد البأس ، يتبع المراكب فيغرقها ويهلك من ظفر به منها ، وهو بالجاموس أشبه منه بالفرس لكنه ليس له قرن وفي صوته سهولة تشبه سهيل الفرس بل البغل ، وهو عظيم الهيئة ، هريت الأشداق ، حديد الأنياب ، عريض الكلكل ، منتفخ الجوف ، قصير الأرجل ، شديد الوثب ، قوى الدفع ، مهيب مخوف الغائلة ، وخبرني من اصطادها مرات وشقها وكشف عن أعضائها الباطنة والظاهرة أنها خنزير كبير وأن أعضائها الباطنة والظاهرة ، لا تغادر من صورة الخنزير شيئاً الا في عظم الخلقة ، ورأيت في كتاب ينطواليس في الحيوان ما يعضد ذلك وهذه صورته ، قال : خنزيرة الماء تكون في بحر مصر وهي تكون في عظم الفيل ورأسها يشبه رأس البغل ولها شبه خف الجمل * قال : وشحم متمها اذا أذيب ولت بسويق وشربته امرأة أسمنها حتى تحوز المقدار * وكانت واحدة ببحر دمياط قد ضربت على المراكب تغرقها وصار المسافر في تلك الجهة مغرراً ، وضربت أخرى بجهة أخرى على الجواميس والبقر وبنى آدم تقتلهم وتفسد الحرث والنسل وأعمل الناس في قتلها كل حيلة من نصب الجبائل الوثيقة

(١١) لم نهتد الى تعريف لهذا الطائر وربما كان هناك خطأ في النسخ *

وحشد الرجال بأصناف السلاح وغير ذلك فلم يجسد شيئاً فاستدعى بنفر من المريس - صنف من السودان - زعموا أنهم يحسنون صيدها وأنها كثيرة عندهم ومعهم مزاريق فتوجهوا نحوها فقتلوها في أقرب وقت وبأهون سعى ، وأتوا بها الى القاهرة فشاهدتها فوجدت جلدها أسود أجرد ثخيناً وطولها من رأسها الى ذنبها عشر خطوات معتدلات ، وهى فى غلظ الجاموس نحو ثلاث مرات وكذلك رقبته ورأسها وفى مقدم فمها اثنا عشر ناباً ستة من فوق وستة من أسفل المتطرفة منها نصف ذراع زائد والمتوسط أنقص بقليل، وبعد الأنياب أربعة صفوف من الأسنان على خطوط مستقيمة فى طول الفم فى كل صف عشرة كأمثال بيض الدجاج المصطف صفان فى الأعلى وصفان فى الأسفل على مقابلهما - واذا فغر فوها وسع شاة كبيرة وذنبها فى طول نصف ذراع زائد أصله غليظ وطرفه كالاصبع ، أجرد كأنه عظم شبيه بذنب الورل وأرجلها قصار طولها نحو ذراع وثلث ولها شبه بنخ البعير ، الا أنه مشقوق الأطراف باربعة أقسام وأرجلها فى غاية الغلظ وجملته جثتها كأنها مركب مكبوب لعظم منظرها - وبالجملة ، هى أطول وأغلظ من الفيل ، الا أن أرجلها أقصر من أرجل الفيل بكثير ولكن فى غلظها او أغلظ منها .

ومن ذلك السمكة المعروفة بالرعاد ، لأنه من أمسكها وهى حية ارتعد رعدة لا يمكنه معها أن يتماسك ، وهى رعدة بقوة وخدر شديد وتنمل فى الأعضاء وثقل بحيث لا يقدر أن يملك نفسه ولا أن يمسك بيده شيئاً أصلاً ويتراقى الخدر الى عضده وكتفه والى جنبه بأسره حينما يلمسها أيسر لمس فى أسرع وقت - وخبرنى صيادها أنها اذا وقعت فى الشبكة، اعترى الصياد ذلك اذا بقى بينها وبينه مقدار شبر أو أكثر

من غير أن يضع يده عليها وهي اذا ماتت بطلت هذه الخاصة منها . وهي من السمك الذي لا تفليس له ولحمه قليل الشوك كثير الدسم ولها جلد ثخين في ثخن الاصبع يتسلخ منها بسهولة ولا يمكن اكله . ويوجد فيها الصغير والكبير ما بين رطل الى عشرين رطلا وذكر من يكثر السباحة بنواحيها أنها اذا مست بدن السابح خدر الموضع أين كان ساعة بحيث يكاد يسقط . وتكثر بأسافل الأرض وبالاسكندرية .

وأما أصناف السمك عندهم فكثيرة ؛ لأنه يجتمع اليهم سمك النيل وسمك البحر الملح ولا يفى القول بنعتها لكثرة أصنافها واختلاف اشكالها والوانها ، ومنها الصنف المسمى عندهم ثعبان الماء وهي سمكة كالحية سواء . طولها ما بين ذراع الى ثلاث أذرع .

ومنها السرب ، وهي سمكة تصاد من بحر الاسكندرية يحدث لأكلها أحلام ردية مفزعة ، ولا سيما الغريب ومن لم يعتدها والأحداث المضحكة فيها مشهورة .

ومن ذلك الترسة - وتسمى لجاة - وهي سلحفاة عظيمة وزنها نحو أربعة قناطير، الا أن جفنتها - أعنى عظم ظهرها - كالترس له أفاريز خارجة عن جسمها نحو شبر ، ورأيتها بالاسكندرية يقطع لحمها ويباع كلحم البقر .

وفى لحمها ألوان مختلفة ما بين أخضر وأحمر وأصفر وأسود وغير ذلك من الألوان ، وتخرج من جوفها نحو أربعمائة بيضة كبيض الدجاج سواء ، الا أنه لين القشر . واتخذت من بيضها عجة فلما جمد ، صار ألوانا ما بين أخضر وأحمر وأصفر شبيها بألوان اللحم ، ومن ذلك السرلينس ، وهو صدف مستدير الى الطول أكبر من الظفر ينشق عن رطوبة مخاطية بيضاء ذات نكتة سوداء يعافها الناظر وفيه ملوحة عنده زعموا ويباع بالكيل .

الفصل الرابع

فى اختصاص ما شوهد من آثارها القديمة

أما ما يوجد بمصر من الآثار القديمة فشىء لم أر ولم أسمع بمثله فى مثلها فأقتصر على أعجب ما شاهدته •

فمن ذلك الأهرام ، وقد أكثر الناس من ذكرها ووصفها ومساحتها • وهى كثيرة العدد جدا وكلها بين الجيزة وعلى سمت مصر القديمة (١) وتمتد فى نحو مسافة يومين • وفى بوسير (٢) منها شىء كثير وبعضها كبار وبعضها صغار وبعضها طين ولبن وأكثرها حجر وبعضها مدرج وأكثرها مخروط أملس ، قد كان منها بالجيزة عدد كثير لكنها صغار فهدمت فى زمن صلاح الدين ، يوسف بن أيوب ، على يدى قراقوش (٣) وكان خصيا روميا سامى الهمة فكان يتولى

(١) المقصود هنا منف كما سيوضح فى أكثر من موضع •

(٢) أبو صير الملق واسمها القديم يعنى أبيدوس الشمالية تمييزا لها عن أبيدوس الجنوبية (العرابة المدفونة) ، واسمها الرومى Busirus أى محل إقامة الإله أوزوريس ، وهى المفضودة هنا ، وهناك أيضا أبو صير وهى كورة من كور الجيزة وغيرها • القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ، لمحمد رمزى ، ق ٢ ، ج ٣ •

(٣) أمير نشأ فى خدمة صلاح الدين الأيوبي وناب عنه فى مصر • أشرف على بناء سور القاهرة وبناء قلعة الجبل ويعنى اسمه بالتركية العقاب - بضم العين وهو الطائر المعروف ، كان له أعداء كثيرون نسبوا إليه كثيرا من الأمور التى لا تصدر عن عاقل • النجوم المزاهرة لابن تغرى بردى ، ووفيات الأعيان لابن حلكان •

عمائر مصر وهو الذى بنى السور من الحجارة محيطا
بالفسطاط والقاهرة وما بينهما وبالقلعة التى على المقطم ،
وهو أيضا الذى بنى القلعة وأنبط فيها البيرين الموجودتين
اليوم ، وهما أيضا من العجائب وينزل اليهما بدرج نحو
ثلثمائة درجة ، وأخذ حجارة هذه الأهرام الصغار وبنى بها
القناطر الموجودة اليوم بالجيزة ، وهذه القناطر من الأبنية
العجيبة أيضا ومن أعمال الجبارين وتكون نيفا وأربعين
قنطرة . وفى هذه السنة وهى سنة سبع وتسعين وخمسمائة
تولى أمرها من لا بصيرة عنده فسدها رجاء أن يحتبس الماء
فيروى الجيزة ، فقويت عليها جرية الماء فزلزلت منها ثلاث
قناطر وانشقت ، ومع ذلك فلم يرو ما رجا أن يروى . وقد
بقى من هذه الأهرام المهدومة قلبها وحشوتها وهى ردم
وحجارة صغار لا تصلح للقناطر ؛ فلأجل ذلك تركت .

وأما الأهرام المتحدث عنها المشار إليها الموصوفة بالعظيم،
فثلاثة أهرام موضوعة على خط مستقيم بالجيزة قبالة
الفسطاط، وبينها مسافات يسيرة زواياها متقابلة نحو الشرق
واثنان منها عظيمان جدا وفى قدر واحد وبهما أولع الشعراء
وشبهوهما بنهدين قد نهدا فى صدر الديار المصرية وهما
متقاربان جدا ومبنيان بالحجارة البيض . وأما الثالث
فينتقص عنهما بنحو الربع لكنه مبنى بحجارة الصوان الأحمر
المنقط الشديد الصلابة ولا يؤثر فيه الحديد الا فى الزمن
الطويل وتجده صغيرا بالقياس الى ذينيك . فاذا قربت منه
وأفردته بالنظر هالك مرآه وحسر الطرف عند تأمله ، وقد
سلك فى بناية الأهرام طريق عجيب من الشكل والاتقان ؛
ولذلك صبرت على مر الزمان بل على مرها صبر الزمان . فانك
اذا تبهرتها وجدت الأذهان الشريفة قد استهلكت فيها والعقول

الصافية قد أفرغت عليها مجهودها، والأنفس النيرة قد أفاضت عليها أشرف ما عندها والملكات الهندسية قد أخرجتها الى الفعل مثلا هى غاية امكانها ، حتى انها تكاد تحدث عن قومها وتخبر بحالهم وتنطق عن علومهم وأذهانهم وترجم عن سيرهم وأخبارهم ، وذلك أن وضعها على شكل مخروط بيتدىء من قاعدة مربعة وينتهى الى نقطة ، ومن خواص الشكل المخروط ان مركز ثقله فى وسطه وهو يتساند على نفسه ويتواقع على ذاته ويتحامل بعضه على بعض فليس له جهة أخرى خارجة عنه يتساقط عليها * ومن عجيب وضعه أنه شكل مربع قد قوبل بزواياه مهاب الرياح الأربع ، فان الرياح تنكسر سورتها عند مصادمتها الزاوية وليست كذلك عندما تلقى السطح، ولنرجع الى ذكر الهرمين العظيمين فان المساح ذكروا أن قاعدة كل منهما أربعمائة ذراع(٤) طولاً فى مثلها عرضاً، وارتفاع عمودها أربعمائة ذراع وذلك كله بالذراع السوداء وينقطع المخروط فى أعلاه عند سطح مساحته عشر أذرع فى مثلها ، وأما الذى شاهده من حالهما فان راميا كان معنا رمى سهما فى قطر أحدهما وفى سمكه فسقط السهم دون نصف المسافة * وخبرنا أن فى القرية المجاورة لها قوما قد اعتادوا ارتقاء الهرم بلا كلفة فاستدعينا رجلاً منهم ورضخنا له بشيء (٥) فجعل يصعد فيها كما يرقى أحدنا فى الدرج بل أسرع ورقى بنعليه وأثوا به ، وكانت سابقة كنت أمرته أنه اذا استوى على سطحه قاسه بعمامته ، فلما نزل ذرعنا من عمامته مقدار ما كان قاس فكان احدى عشرة ذراعاً بذراع اليد ، ورأيت بعض أرباب القياس قال : ارتفاع عمودها

(٤) الذراع مقياس تقريبي للأطوال يبلغ عند المصريين القدماء ٢٥٦ بوصة أو ٥٢,٣٢ سنتيمتراً * أسماء على مبارك الذراع الانتيكى وهو قريب من الذراع البلدى *
(٥) دفعنا له بعض المال *

ثلثمائة ذراع ونحو سبع عشرة ذراعا يحيط به أربعة سطوح مثلثات الأضلاع طول كل ضلع منها أربعمائة ذراع وستون ذراعا * وأرى هذا القياس خطأ ، ولو جعل العمود أربعمائة ذراع ، لصح قياسه * وان ساعدت المقادير توليت قياسه بنفسى * وفى أحد هذين الهرمين مدخل يلججه الناس يفضى بهم الى مسالك ضيقة وأسراب متنافذة وآبار ومهالك وغير ذلك مما يحكيه من يلججه ويتوغله ، فان ناسا كثيرين لهم غرام به وتخيل فيه فيوغلون فى أعماقه ولا بد ان ينتهوا الى ما يعجزون عن سلوكه ، وأما السلوك فيه المطروق كثيرا فزلاقه تفضى الى أعلاه فيوجد فيه بيت مربع فيه ناووس من حجر ، وهذا المدخل ليس هو المتخذ له فى اصل البناء وانما هو منقوب نقبا صودف اتفقا ، وذكر أن المامون هو الذى فتحه وجل من كان معنا ولجوا فيه وصعدوا الى البيت الذى فى أعلاه فلما نزلوا ؛ حدثوا بعظيم ما شاهدوا وأنه مملوء بالخفافيش وأبوالها حتى يكاد يمنع السالك ويعظم فيها الخفاش حتى يكون فى قدر الحمام وفيه طبقات * وروازنه نحو أعلاه وكأنها جعلت مسالك للريح ومنافذ للضوء ، وولجته مرة أخرى مع جماعة وبلغت نحو ثلثى المسافة فأغمى على من هول المطلع فرجعت برمق *

وهذه الأهرام مبنية بحجارة جافية يكون طول الحجر منها ما بين عشر أذرع الى عشرين ذراعا وسمكه ما بين ذراعين الى ثلاث وعرضه نحو ذلك ، والعجب فى وضع الحجر بهندام ليس فى الامكان أصح منه بحيث لا تجد بينهما مدخل ابرة ولا خلل شعرة ، وبينهما طين كأنه الورقة لا أدرى ما صفتة ولا ما هو * وعلى تلك الحجارات كتابات بالقلم القديم المجهول الذى لم أجد بديار مصر من يزعم أنه سمع بمن يعرفه

وهذه الكتابات كثيرة جدا حتى لو نقل ما على الهرمين فقط الى صحف ، لكانت زهاء عشرة آلاف صحيفة * وقرأت فى بعض كتب الصابئة القديمة أن أحد هذين الهرمين هو قبر عاذيمون ، والآخر قبر هرميس ويزعمون أنهما نبيان عظيمان ، وأن (عاذيمون) أقدم وأعظم (٦) *

(٦) فى الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهرى ج ١ (طبعة دار الكتب العلمية) ص ٤٩ عاذيمون ، لكنها كتبت مرة أخرى فى ص ١٢٧ عادمون وكتبها الشهرستانى فى الملل والنحل عاذيمون وكتبها البغدادى عاذيمون ، أما هرميس فوردت فى الشهرستانى ص ٤٥ هرمس وكذلك عند ابن حزم الظاهرى ص ٥٠ ، ولأهمية ارتباط هذه العقائد بالأهرام ، يهمنى أيراد ما أورده ابن حزم والشهرستانى عن عقائد الصابئة رغم أن البغدادى وحده قد انفرد من دونهما بربط هذه العقائد بأهرام مصر * يقول الشهرستانى عن « حدم درمس العظيم المحموده آثاره ، المرضية أقواله وأفعاله ، الذى يعد من الأنبياء الكبار ، ويقال هو ادريس النبى عليه السلام * وهو الذى وضع أسامى البروج والكواكب السيارة ورتبها فى بيوتها ، وأثبت لها الشرف والوبال ، والأوج والحضيض ، والمناظر بالمثلث والتسديس والتربيع ، والمقابلة والمقارنة ، والرجعة والاستقامة * وبين تعديل الكواكب وتقويمها * وأما الأحكام النسوية الى هذه الاتصالات فغير مرهن عليها عند الجميع *

وللهند والعرب طريقة أخرى فى الأحكام أخذوها من خواص الكواكب ، لا من طبائعها * ورتبها على الثابت ، لا على السيارات *
ويقال ان عاذيمون وهرمس هما شيث ، وادريس عليهما السلام ، ونقلت الفلاسفة عن عاذيمون انه قال : ألبادىء الأولى خمسة : البارئ تعالى ، والعقل ، والنفس ، والمكان ، والخلاء ، وبعدها وجود المركبات * ولم ينقل هذا عن هرمس *
ومن حكم هرمس :

قوله . أول ما يجب على المرء الفاضل بطباعة ، المحمود بسنخه ، المرضى فى عادته ، المرجو فى عاقبته : تعظيم الله عز وجل ، وشكره على معرفته ، وبعد ذلك فللناموس عليه حق الطاعة له ، والاعتراف بمنزلته ، وللسلطان عليه حق المناصحة والايقباد ، ولنفسه عليه حق الاجتهاد ، والدأب فى فتح باب السعادة ، ولخصائمه عليه حق التحلى لهم بالود ، والتسارع اليهم باليدل ، فاذا أحكم هذه الأسس لم يبق عليه الا كف الأذى عن العامة ، وحسن المعاشرة ، وسهولة الخلق * * * »
فى الفصل لابن حزم الظاهرى *

« وقد يضاف الى جملة من قال أن مدبر العالم أكثر من واحد الصابئون ، وهم يقولون بقدم الأصلين على ما قدمنا من نحو قول المجوس ، الا انهم يقولون بتعظيم الكواكب السبعة ، والبروج الاثنى عشر ، ويمصرونها فى هياكلهم ويقولون بقدمها ، ويقربون الذبائح ، والدخن ، ولهم صلوات خمس فى اليوم والليلة تقترب من صلوات المسلمين ويمصرون شهر رمضان ، ويستقبلون فى صلواتهم الكعبة والبيت الحرام -

وأنه كان يحج إليهما ويهوى نحوهما من أقطار الأرض، وقد وسعنا القول في المنقول من الكتاب الكبير فمن أراد التوسعة فعليه ، فان هذا الكتاب مقصور على المشاهد *

وكان الملك العزيز عثمان بن يوسف (٧) لما استقل بعد أبيه ، سول له جهلة أصحابه أن يهدم هذه الأهرام فبدأ بالصغير الأحمر وهو الثالثة الأثافي *

فأخرج اليه الحلبيّة والنقابين والحجارين وجماعة من عظماء دولته وأمراء مملكته وأمرهم بهدمه ووكلمهم بخرابه فخيّموا عندها وحشروا عليها الرجال والصنّاع ووفروا

= ويعظمون مكة والكعبة ، ويحرمون الميتة ، والدم ولحم الخنزير ، ويحرمون من القراشب ما يحرم على المسلمين ، وعلى نحو هذه الطريقة تفعل الهند بالبددة في تصويرها على أسماء الكواكب وتعظيمها ، وهو كان أصل الأوثان في العرب ، والدقاقرة في السودان ، حتى آل الأمر طول الزمان الى عبادتهم اياها * وكان الذي ينتحل الصابثون أقدم الأديان على وجه الدهر ، والغالب على أهل الدنيا الى ان أحدثوا فيه الحوادث ، ويدلوا شراطه بما ذكرناه ، فبعث الله عز وجل اليهم ابراهيم خليله ﷺ بدين الاسلام الذي نحن عليه الآن ، وتصحيح ما أفسدوه بالحنيفية السمحة التي أتى بها محمد ﷺ ، من عند الله تعالى * فبين لهم كما نص في القرآن بطلان ما أحدثوه ، من تعظيم الكواكب وعبادتها وعبادة الأوثان ، فلقى منهم ما نصه الله في كتابه ، وكانوا في ذلك الزمان وبعده يسمون بالحنفاء ، ومنهم اليوم بقايا « بحران » ، وهم قليل جدا *

للصابثيين شرائع يسندونها الى « هرمس » ويقولون انه « ادريس » ، والى قوم آخرين ، يذكرون أنهم أنبياء « كايرون » ويعولون انه « نوح » عليه السلام ، و « أسفلانيوس » صاحب الهيكل الموصوفسوس « عاظيمون » و « يوداسف » وغيرهم *
حصص ٥٠ - ٥١ ، وراجع أيضا ج ١ ، ص ١٣٦ - ١٣٧ *

(٧) هو عثمان بن يوسف (ويوسف هذا هو صلاح الدين الأيوبي المشهور) بن أيوب * كنيته * أبو الفتح من ملوك الدولة الأيوبية بمصر * وكان نائبا فيها عن أبيه * ولما توفي أبوه (السلطان صلاح الدين) بدمشق ، استقل هو بملك مصر سنة ٥٨٩ هـ وحاول انتزاع دمشق من يد أخيه الأفضل مرتين فلم ينجح ، ونجح في الثالثة ٥٩٢ هـ فقام عليها عمه العادل * يقول ابن تغرى بردى في كتابه النجوم الزاهرة : « استقامت الأمور في أيامه وعدل في الرعية وعف عن أموالها * ولد في القاهرة ومات بها سنة ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م *

- النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى / حوادث ٥٩٥ وغيرها *

- الأعلام للزركلي *

عليهم النفقات ، وأقاموا نحو ثمانية أشهر بنحيلهم ورجلهم يهدمون كل يوم بعد بذل الجهد واستفراغ الوسع الحجر والحجرين ، فقوم من فوق يدفعونه بالأسافين والامخال ، وقوم من أسفل يجذبونه بالقلوس والأشطان ، فإذا سقط سمع له جلبة عظيمة من مسافة بعيدة حتى ترجف له الجبال وتزلزل الأرض ويغوص فى الرمل فيتمبون تعباً آخر حتى يخرجوه ثم يضربون فيه الأسافين ، بعد ما ينقبون لها موضعاً ويبيتونها فيه ، فيتقطع قطعاً فتسحب كل قطعة على العجل حتى تلقى فى ذيل الجبل وهى مسافة قريبة فلما طال ثاؤهم ونفدت نفقاتهم وتضاعف نصبهم ووهنت عظامهم وخارت قواهم كفوا محسورين مذمومين لم ينالوا بغية ولا بلغوا غاية ، بل كانت غايتهم أن شوهوا الهرم وأبانوا عن عجز وفشل . وكان ذلك فى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ، ومع ذلك فإن الرأى لحجارة الهدم يظن أن الهرم قد استؤصل فإذا عاين الهرم ظن أنه لم يهدم منه شئ وانما جانب قد كسشط بعضه . وحينما شاهدت المشقة التى يجدونها فى هدم كل حجر سألت مقدم الحجارين ، فقلت له : لو بذل لكم ألف دينار على أن تردوا حجراً واحداً الى مكانه وهندامه هل كان يمكنكم ذلك ؛ فأقسم بالله تعالى أنهم ليعجزون عن ذلك ولو بذل لهم أضعافه .

وبازاء الأهرام من الضفة الشرقية مغاير كثيرة العدد كبيرة المقدار عميقة الأغوار متداخلة ، وفيها ما هو ذو طبقات ثلاث وتسمى المدينة حتى لعل الفارس يدخلها برمحه ويتخللها يوماً أجمع ولا ينهيها لكثرتها وسعتها وبعدها ، ويظهر من حالها أنها مقاطع حجارة الأهرام ، وأما مقاطع حجارة الصوان الأحمر فيقال انها بالقلزم وبأسوان ، وعند هذه

الأهرام آثار أبنية جبارة ومغاير كثيرة متقنة وقلما ترى من ذلك شيئاً الا وترى عليه كتابات بهذا القلم المجهول .

وعند هذه الأهرام بأكثر من غلوة (٨) صورة رأس وعنق يارزة من الأرض في غاية العظم ، يسميه الناس أبا الهول .
 ويزعمون أن جثته مدفونة تحت الأرض ويقتضى المقياس أن تكون جثته بالنسبة الى رأسه سبعين ذراعاً ، وفي وجهه حمرة ودهان أحمر يلمع عليه رونق الطرأة وهو حسن الصورة مقبولها عليه مسحة بهاء وجمال كأنه يضحك تبسماً ، وسألني بعض الفضلاء : ما أعجب ما رأيت ؟ ، فقلت : تناسب وجه أبي الهول فان أعضاء وجهه بالأنف والعين والأذن متناسبة كما تصنع الطبيعة الصور متناسبة ، فان أنف الطفل مثلاً مناسب له وهو حسن به حتى لو كان ذلك الأنف لرجل كان مشوهاً به ، وكذلك لو كان أنف الرجل للصبى لتشوهت صورته وعلى هذا سائر الأعضاء فكل عضو ينبغي أن يكون على مقدار وهيئة ، بالقياس الى تلك الصورة وعلى نسبتها فان لم توجد المناسبة تشوهت الصورة . والعجب من مصوره كيف قدر أن يحفظ نظام التناسب في الأعضاء مع عظمها وأنه ليس في أعمال الطبيعة ما يحاكيه وينقله .

ومن ذلك الآثار التي بعين شمس وهي مدينة صغيرة يشاهد سورها محدقاً بها مهدوماً ، ويظهر من أمرها أنها قد كانت بيت عبادة وفيها من الأصنام الهائلة العظيمة الشكل من نحيت الحجارة يكون طول الصنم زهاء ثلاثين ذراعاً وأعضاؤه على تلك النسبة من العظم ، وقد كان بعض هذه الأصنام قائماً

(٨) الغلوة مقياس لقياس الأطوال بشكل تقريبي . وفي ابن منظور : « ... بينه وبين الأراق غلوة » الغلوة قدر ردية بسهم .

على قواعد وبعضها قاعدا بنصبات عجيبية واتقانات محكمة
وباب المدينة موجود الى اليوم - وعلى معظم تلك الحجارة
وتصاوير الانسان وغيره من الحيوان ، كتابات كثيرة بالقلم
المجهول وقلما يرى حجر غفلا من كتابة أو نقش أو صورة ،
وفى هذه المدينة المسلمتان المشهورتان وتسميان مسلتى فرعون
وصفة المسلة أن قاعدة مربعة طولها عشر أذرع فى مثلها
عرضا فى نحوها سمكا . قد وضعت على أساس ثابت فى الأرض
ثم أقيم عليها عمود مربع ، ينيف طوله على مائة ذراع يبتدىء
من قاعدة لعل قطرها خمس أذرع وينتهى الى نقطة ، وقد
لبس رأسها بقلنسوة نحاس الى ثلاث أذرع منها كالقمع وقد
ترنجر بالطر ويطول المدة اخضر وسال من خضرته على بسيط
المسلة ، والمسلة كلها عليها كتابات بذلك القلم ورأيت احدى
المسلتين وقد خرت وانصدعت من نصفها لعظم التقل واخذ
النحاس من رأسها ، ثم ان حولها من المسال شيئا كثيرا لا يحصى
عددها مقاديرها على نصف تلك العظمى أو ثلثها ، وقلما تجد
فى هذه المسال الصغار ما هو قطعة واحدة بل خصوصا بعضها
على بعض وقد تهدم أكثرها وانما بقيت قواعدها .

ورأيت بالاسكندرية مسلتين على سيف البحر فى وسط
العمارة أخبر من هذه الصغار وأصغر من العظيمتين .

وأما البرابى بالصعيد ، فالحكاية من عظمها واتقان
صنعتها واحكام سورها وعجائب ما فيها من الأشكال والنقوش
والتصاوير والخطوط ، مع احكام البناء وجفاء الآلات
والأحجار مما يفوت الحصر وهى من الشهرة بحيث تغنى عن
الاطالة فى الصفة .

ورأيت بالاسكندرية عمود السوارى وهو عمود أحمر
منقط من الحجر المانع الصوان عظيم الغلظ جدا شاهق

الطول ، لا يبعد أن يكون طوله سبعين ذراعا وقطره خمس أذرع ، وتحتة قاعدة عظيمة تناسبه وعلى رأسه قاعدة أخرى عظيمة وارتفاعها عليه بهندام يفتقر الى قوة فى العلم برفع الأثقال وتمهر فى الهندسة العملية ، وخبرنى بعض الثقات انه قاس دوره فكان خمسا وسبعين شبرا بالشبر التام *

ثم انى رأيت بشاطيء البحر مما يلى سور المدينة أكثر من أربعمائة عمود مكسوة أنصافا وأثلاثا ، حجرها من جنس حجر عمود السوارى على الثلث منه أو الربع ، وزعم أهل الاسكندرية قاطبة أنها كانت منتصبة حول عمود السوارى ، وان بعض ولاة الاسكندرية واسمه قراجا كان واليا عن يوسف ابن أيوب ، فرأى هدم هذه السوارى وتكسيها وألقاها بشاطيء البحر زعم أن ذلك يكسر سورة الموج عن سور المدينة ، أو أن يمنع مراكب العدو أن تستند اليه ، وهذا من عبث الولدان ومن فعل من لا يفرق بين المصلحة والمفسدة *

ورأيت أيضا حول عمود السوارى من هذه الأعمدة بقايا صالحة بعضها صحيح وبعضها مكسور ويظهر من حالها أنها كانت مسقوفة والأعمدة تحمل السقف ، وعمود السوارى عليه قبة هو حاملها وأرى أنه الرواق الذى كان يدرس فيه أرسطوطاليس وشيعته من بعده ، وأنه دار العلم التى بناها الاسكندر حين بنى مدينته وفيها كانت خزانة الكتب التى أحرقتها عمرو بن العاص باذن عمر رضى الله عنه (٩) *

(٩) احترقت هذه المكتبة اثناء ثورة الاسكندرانيين على يوليوس قيصر ، وقد نقلت البقية الباقية من كتبها الى مكتبة السيرابيوم الذى دمر باعتباره معبدا وثنيا فى العصر المسيحى . راجع فتح العرب لمصر لألفريد بتلر ، ترجمة محمد فريد أبو حديد .

وأما المنارة فحالتها مشهور يغنى عن وصفها وذكر ذو العناية ، أن طولها مائتا ذراع وخمسون ذراعا .

وقرأت بخط بعض المحصلين أنه قاس العمود بقاعدتيه . فكان اثنتين وستين ذراعا وسدس ذراع وهو على جبل طوله ثلاث وعشرون ذراعا ونصف ذراع فصارت جملة ذلك خمسا وثمانين ذراعا وثلثى ذراع ، وطول القاعدة السفلى اثنتا عشرة ذراعا ، وطول القاعدة العليا سبع أذرع ونصف ذراع . وقاس أيضا المنارة فوجدها مائتى ذراع وثلثا وثلثين ذراعا . وهى ثلاث طبقات : الطبقة الأولى مربعة وهى مائة ذراع واحدى وعشرون ذراعا ، والطبقة الثانية مثمثة وطولها احدى وثمانون ذراعا ونصف ذراع ، والطبقة الثالثة مدورة وطولها احدى وثلثون ذراعا ونصف ذراع وفوق ذلك مسجده ارتفاعه نحو عشر أذرع .

ومن ذلك الآثار التى بمصر القديمة وهذه المدينة بالجزيرة وهى منف التى كان يسكنها الفراعنة وكانت مستقر مملكة ملوك مصر ، واياها عنى بقوله تعالى عن موسى عليه السلام : « ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها » ، وبقوله تعالى : « فخرج منها خائفا يترقب » ، لأن مسكنه عليه السلام كان بقرية بالجزيرة قريبة من المدينة تسمى دموة (١٠) وبها اليوم دير لليهود ، ومقدار خرابها اليوم مسيرة نصف يوم أو نحوه وقد كانت عامرة فى زمن ابراهيم ويوسف وموسى . عليهم السلام وقبلهم بما شاء الله تعالى وبعدهم الى زمن .

(١٠) هى ما يعرف الآن باسم منيل شيحة . على الشاطئ الغربى للنيل مقابل طرا . انظر القاموس الجغرافى للبلاد المصرية لمحمد رمزى ، ق ٢ ، ج ٣ ، صص .

بختنصر فانه أخرب ديار مصر وبقيت على خرابه أربعين سنة
وسبب خرابه اياها أن ملكها عصم منه اليهود ، حين التجأوا
الى مصر ، ولم يمكن منهم بختنصر فقصدته بختنصر وأباد
دياره . ثم جاء الاسكندر بعد ذلك واستولى عليهم وعمر بها
الاسكندرية وجعلها مقر الملك ولم تزل على ذلك الى أن جاء
الاسلام ففتحت على يد عمرو بن العاص وجعل مقر الملك
بالفسطاط . ثم جاء المعز من المغرب وبنى القاهرة وجعلها
مقر الملك الى اليوم . وقد ذكرنا ذلك مشروحا مفصلا في
الكتاب الكبير . ولنرجع الى وصف منف المسماة مصر القديمة :

فهذه المدينة مع سمعتها وتقادم عهدها وتداول الملل
عليها واستئصال الأمم اياها ، من تعفية آثارها ومحو رسومها
ونقل حجارتها وآلاتها وافساد أبنيتها وتشويه صورها ،
مضافا الى ما فعلته فيها أربعة آلاف سنة فصاعدا تجد فيها
من العجائب ما يفوت فهم الفطن المتأمل ، ويحسر دون وصفه
البليغ اللسن وكلما زدته تأملا ، زادك عجباً وكلما زدته نظرا
زادك طرباً ومهما استنبطت منه معنى ، أنبأك بما هو أغرب ،
ومهما استثرت منه علما ذلك على أن وراءه ما هو اعظم .

فمن ذلك البيت المسمى بالبيت الأخضر ، وهو حجر
واحد تسع أذرع ارتفاعا في ثمان طولاً في سبع عرضاً ، قد
حفر في وسطه بيت ، قد جعل سمك حيطانه وسقفه وأرضه
ذراعين والباقي فضاء البيت ، وجميعه ظاهراً وباطناً منقوش
ومصور ومكتوب بالقلم القديم ، وعلى ظاهره صورة الشمس
مما يلي مطلعها وصور كثير من الكواكب والأفلاك وصور
الناس والحيوان على اختلاف من النصبات والهيئات : فمن بين
قائم وماش وماد رجليه وضامهما ومشمر للخدمة وحامل
آلات ومشير بها ، ينبى ظاهر الأمر أنه قصد بذلك محاكاة

أمور جليلة وأعمال شريفة وهيئات فاضلة وإشارات إلى أسرار غامضة وانها لم تتخذ عبثا ولم يستفرغ فى صنعها الوسع لمجرد الزينة وبالحسن ، وقد كان هذا البيت ممكنا على قواعد من حجارة الصوان العظيمة الوثيقة فحفر تحتها الجهلة والحمقى طعما فى المطالب ؛ فتغير وضعه وفسد هندامه واختلف مركز ثقله بعضه على بعض فتصدع صدوعا طفيفة يسيرة . وهذا البيت قد كان فى هيكل عظيم مبنى بحجارة عاتية جافية على أتقن هندام وأحكم صنعة وفيها قواعد على عمد عظيمة . وحجارة الهرم متواصلة فى جميع أقطار هذا الخراب ، وقد بقى فى بعضها حيطان مائلة بتلك الحجارة الجافية وفى بعضها أساس وفى بعضها أطلال ، ورأيت عقد باب شاهقا ركناه حجران فقط وأزحجه حجر واحد قد سقط بين يديه وتجد هذه الحجارة مع الهندام المحكم والوضع المتقن قد حفر بين الحجرين منها نحو شبر فى ارتفاع اصبعين وفيه صدأ النحاس وزنجرته ، فعلمت أن ذلك قيود لحجارة البناء وتوثيق لها ورباطات ، بينها بابان يجعل بين الحجرين ثم يصب عليه الرصاص وقد تتبعها الأندال المغرورون فقلعوا منها ما شاء الله تعالى وكسروا لأجلها كثيرا من الحجارة حتى يصلوا اليها ولعمر الله قد بذلوا الجهد فى استخلاصها وأبانوا عن تمكن من اللؤم وتوغل فى الخساسة . وأما الأصنام وكثرة عددها وعظم صورها فأمر يفوت الوصف ويتجاوز التقدير ، وأما اتقان أشكالها واحكام هيئاتها والمحاكاة بها الأمور الطبيعية فموضع التعجب بالحقيقة . . . فمن ذلك صنم ذرعناه سوى قاعدته فكان نيضا وثلاثين ذراعا وكان مداه من جهة اليمين الى اليسار نحو عشر أذرع ومن جهة الخلف الى الامام على تلك النسبة ، وهو حجر واحد من

الصوان الأحمر وعليه من الدهان الأحمر كأنه لم يزد
تقادم الأيام الا جدة .

والعجب كل العجب كيف حفظ فيه مع عظم النظام
الطبيعى والتناسب الحقيقى ، وأنت تعلم أن كل واحد من
الأعضاء الآلية والمتشابهة له فى نفسه مقدار ما وله الى سائر
الأعضاء نسبة ما بذلك المقدار . وبذلك النسبة تحصل
حسن الهيئة وملاحة الصورة ، فان اختل شىء من ذلك حدث
من القبح بمقدار الخلل . وقد أحكم فى هذه الأصنام هذا
النظام احكاما أى احكام ، فمن ذلك مقادير الأعضاء فى
نفسها ثم نسب بعضها الى بعض ، فانك ترى الصنم قد يبتدىء
بانفصال صدره عن عنقه عند الترقوة بتناسب بليغ ثم يأخذ
الصدر فى ارتفاع الترائب الى الشدوتين فيرتفعان عما دونهما
ويبرزان من سائر الصدر بنسبة عجيبة ثم يعلوان الى حسد
الحلمة ، ثم تصور الحلمة مناسبة لتلك الصورة الهائلة ثم
تنحدر الى الموضع المطمئن عند القص وفرجة الزور وزور
القلب والى تجميد الأضلاع والتوائها ، كما هو موجود فى
الحيوان الحقيقى . ثم تنحدر الى مقاط الأضلاع ومراق
البطن والتواء العصب وعضل البطن يميناً وشمالاً وتوترها
وارتفاعها وانخفاض ما دون السرة مما يلى الاقراب ثم تحقيق
السرة وتوتر العضل حولها ، ثم الانحدار الى الثنة والحالبين
وعروق الحلب والخروج منه الى عظمى الوركين ، وكذلك تجد
انفصال الكتف واتصالها بالعضد ثم بالساعد وانفتال حبل
الذراع والكوع والكرسوع وابرة المرفق ونهرى مفصل
الساعد من العضد وعضل الساعد ورطوبة اللحم وتوتر
العصب وغير ذلك مما يطول شرحه ، وقد صور كفى بعضها
قايضاً به على عمود قطره شبر كأنه كتاب ، وصورت الغضون

والأسارير التى تحدث فى جلدة الكف مما يلى الخنصر عند ما يقبض الانسان كفه ، وأما حسن أوجهها وتناسبها فعلى أكمل ما فى القوى البشرية أن تفعله وأتم ما فى المواد الحجرية أن تقبله ولم يبق الا صورة اللحم والدم وكذلك صورة الأذن وختارها وتعاريجها على غاية التمثيل والتخييل .

ورأيت أسدين متقابلين بينهما أمد قريب وصورهما هائلة جدا وقد حفظ فيهما النظام الطبيعى والتناسب الحيوانى ، مع كونهما أعظم جثة من الحيوان الحقيقى جدا جدا وقد تكسرا وردما بالتراب .

ووجدنا من سور المدينة قطعة سالحة مبنية بالحجارة الصفار والطوب وهذا الطوب كبير جاف متطاوول الشكل ومقداره نصف الآجر الكسرى بالعراق . كما أن طوب مصر اليوم نصف آجر العراق اليوم أيضا .

وإذا رأى اللبيب هذه الآثار عذر العوام فى اعتقادهم عن الأوائل بأن أعمارهم كانت طويلة وجثثهم عظيمة أو أنه كان لهم عصا اذا ضربوا بها الحجر سعى بين أيديهم ، وذلك أن الأذهان تقصر عن مقدار ما يحتاج اليه فى ذلك من علم الهندسة واجتماع الهمة وتوفر العزيمة ومصابرة العمل والتمكن من الآلات والتفرغ للأعمال والعلم بمعرفة أعضاء الحيوان وخاصة الانسان ومقاديرها ، ونسب بعضها من بعض وكيفية تركيبها ونصباتها ومقادير وضع بعضها من بعض ، فان النصف الأسفل من الانسان أعظم من النصف الأعلى منه أعنى التنور بمقدار مفلوم ، بخلاف سائر الحيوان . والانسان المعتدل طوله ثمانية أشبار بشبر نفسه وطول يده الى طى مرفقه شبران بشبره وعضده شبر وربيع وهكذا جميع عظام الصفار والكبار والقصب والسناش

والسلاميات حافظه للنظام في مقاديرها ونسب بعضها الى بعض ، وكذلك سائر الأعضاء الباطنة والظاهرة كانخفاض اليافوخ عن ذروة الرأس وبتوئه عما دونه ، وامتداد الجبهة والجبينين وتطامن الصدغين وبتوء عظمي الوجنتين وسهولة الخدين وانخراط الأنف ولين المارن وانفراج المنخرين وامتداد الوتر ودقة الشفتين واستدارة الحبك وانخراط الفكين وغير ذلك مما تضيق عنه العبارة ، وانما يدرك بالمشاهدة وبالتشريح والتأمل . وقد ذكر أرسطوطاليس فصلا في المقالة الحادية عشرة من كتاب الحيوان له ، يدل على أن القوم كان لهم حذاقة واتقان لمعرفة أعضاء الحيوان وتناسبها ، وان جميع ما أدركوه وان جل فهو حقير تافه ، بالقياس الى الأمر الحقيقي المطبوع ، وانما يستعظم ما عرفه الانسان منه بالقياس الى ضعف قوته وبالقياس الى باقى نوعه ممن يعجز عما قدر عليه ، كما يتعجب من النملة اذا حملت حبة شعير ولا يتعجب من الفيل اذا حمل قناطير وهذا نص كلامه باصلاحى قال : من العجب أن نستحب علم احكام التصاوير وعمل الأصنام وافراغها وتبين حكمته ، ولا نستحب معرفة الأشياء المقومة بالطبيعة ، ولا سيما اذا قوينا على معرفة عللها ، ولذلك لا ينبغى لنا أن نكره النظر فى طباع الحيوان الحقيقى الذى ليس بكريم ، ولا يثقل ذلك علينا كما يثقل على الصبيان . ففى جميع الأشياء الطباعية شىء عجيب ولذلك ينبغى لنا أن نطلب معرفة طباع كل واحد من الحيوان ونعلم أن فى جميعه شيئاً طباعياً كريماً ، لأنه لم يطبع شىء منها على وجه الباطل ولا كما جاء واتفق ولا بالبخت ، بل كل ما يكون من قبيل الطباع قائماً يكون لشىء أعنى لحال التمام ولذلك صار له مكان ومرتبة وفضيلة سالحة . فتبارك الله أحسن الخالقين !!

وأما باطن الحيوان وتجويقاته وما فيها من العجائب التى تشتمل على وصفها كتب التشريح لجالينوس وغيره وكتاب منافع الأعضاء له ، فان أيسر اليسير منه يبهت دونه المصور حسيرا ولا يجد له على ذلك ظهيرا ويعلم مصداق قوله تعالى :
« وخلق الانسان ضعيفا » •

وأقول ان التعجب من الأمور الصناعية أيضا هو التعجب من الأمور الطباعية ؛ لأن الأمور الصناعية هى بوجه ما طباعية ، وذلك أنها حادثة عن قوى طباعية • وكما أن المهندس اذا حرك ثقلا عظيما استحق أن يتعجب منه ؛ فكذلك اذا صنع صورة من خشب مثلا تحرك تلك الصورة ثقلا ما كان ذلك المهندس أحرى أن يتعجب منه • والله خلقكم وما تعملون فتبارك من هذا ملكوته ، ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة • وفى أنفسكم أفلا تبصرون ونور جلاله ساطع فلا يحجبه حجاب ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور • ومن أشباح الموجودات بقدرته قائمة وبارادته متحركة وساكنة وينفذ أمره فيها فرحة وباقترابها من حضرة قدسه مبتهجة ، ولتكثرها تشهد بوحدانيته وبتغيرها تقرر بقدرته وان من شىء الا يسبح بحمده •

ولنرجع الى حديثنا الأول فنقول ، هذه الأصنام مع كثرتها قد تركتها الأيام الا الأقل منها جدا اذا وغادرتها رمادا • ولقد شاهدت كبيرا منها وقد نحت من صلعته رجا ولم يظهر فى صورته كبير تشويه ولا تغير بين ، ورأيت صنما وبين رجليه صنم متصل به صغير كأنه مولود بالقياس اليه ، وهو مع ذلك كأعظم رجل يكون وعليه من الملاحظة والجمال ما يشوق الناظر اليه لا يمل من ملاحظته • واتخاذ الأصنام قد كان فى ذلك الزمان شائعا فى الأرض عاما فى الأمم ولهذا

قال تعالى في حق ابراهيم عليه السلام : « ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين » أي كان وحده في زمنه موحدا فهو أمة بنفسه لاعتزاله اياهم وانفراده برأى يخالف آراءهم ، ولما رأى بنو اسرائيل تعظيم القبط هذه الأصنام وتبجيلهم اياها وعكوفهم عليها وألفوا ذلك وأنسوا به لطول مقامهم بينهم ، ثم رأوا قوما من أهل الشام عاكفين على أصنام لهم قالوا : يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ، قال : انكم قوم تجهلون . ولما كان النصارى معظمهم وجمهورهم أقباطا وصابئة (١١) ، نزعوا الى الأصل ومالوا الى سنة آبائهم القديمة في اتخاذ التصاوير في بيعهم وهياكل عبادتهم وبالغوا في ذلك وتفننوا فيه ، وربما تراموا في الجهالة حتى يصوروا الههم والملائكة حوله بزعمهم وجميع ذلك لبقايا فيهم من سنن أوائلهم ، وان كان الأوائل يكبرون الاله أن يدخل تحت ادراك عقلي وحسي فضلا عن تصوير ، وانما سهل على النصارى ذلك وأجرأهم عليه اعتقادهم الالهية للبشر ، وقد حققنا القول في ذلك في مقالاتنا عليهم .

وما زالت الملوك تراعى بقاء هذه الآثار وتمنع من العبث فيها والعبث بها وان كانوا أعداء لأربابها ، وكانوا يفعلون ذلك لمصالح منها لتبقى تاريخا يتنبه بها على الأحقاب . ومنها أنها تكون شاهدة للكتب المنزلة فان القرآن العظيم ذكرها وذكر أهلها ففى رؤيتها خبر الخبر وتصديق الأثر . ومنها أنها مذكرة بالصبر ومنبهة على المثل . ومنها أنها تدل على شيء من أحوال من سلف وسيرتهم وتوافق علومهم وصفاء

(١١) من المفهوم ان الصابئة غير النصارى ، لكن ابن حزم الظاهري في كتابه الفصل بين الملل والاهواء والنحل عقد مقارنة بينهما وأوجد بينهما بعض الشبه ، ج ١ ، ص ٥٠ وما بعدها .

هكرهم وغير ذلك وهذا كله مما تشتاق النفس الى معرفته وتؤثر الاطلاع عليه ، وأما في زمننا هذا فترك الناس سدى وسرحوا هملا وفوضت اليهم شئونهم فتحركوا بحسب أهوائهم وجرؤوا نحو ظنونهم وأطماعهم وعمل كل امرئ منهم على شاكلته وبموجب سجيته وبحسب ما تسول له نفسه ويدعو اليه هواه . فلما رأوا آثارها هائلة راعهم منظرها وظنوا ظن السوء بمخبرها ، وكان جل انصراف ظنونهم الى معشوقهم وأجل الأشياء في قلوبهم وهو الدينار والدرهم كما قيل .

وكل شيء رآه ظنه قدحا وان رأى ظل شخص ظنه الساقى فهم يحسبون كل علم يلوح لهم أنه علم على مطلب ، وكل شيء مفطور في جبل أنه يفضى الى كنز ، وكل صنم عظيم أنه حاصل مال تحت قدميه وهو مهلك عليه ؛ فصاروا يعملون الحيلة في تخريبه ويبالغون في تهديمه ويفسدون صور الأصنام افساد من يرجو عندها المال ويخاف منها التلف ، وينقبون الأحجار نقب من لا يتمرأى أنها صناديق مقلدة على ذخائر ويسربون في قطور الجبال سروب متلصص قد أتى البيوت من غير أبوابها وانتهز فرصة ، لم يشعر غيره بها .

وهذه الفطور منها ما يدخل حبوا ومنها ما يدخل زحفا ، ومنها ما يدخل سحبا على الوجوه ومنها مضايق لا ينسحب فيها الا الضرب الضئيل وأكثر ذلك انما هو فطور طبيعة الجبال .

ومن كان من هؤلاء له مال أضاعه في ذلك ومن كان فقيرا قصد بعض المياسير وقوى طمعه وقرب أمله بأيمان يحلقها له وعلوم يزعم أنه استأثر بها دونه علامات يدعى

لأنه شاهدها حتى يخسر ذلك عقله وماله . وما أقبح بعد ذلك مآله !

ومما يقوى أطماعهم ويديم اصرارهم أنهم يجدون تواويس تحت الأرض فسيحة الأرجاء محكمة البناء ، وفيها من موتى القدماء الجم الغفير والعدد الكثير قد لفوا بأكفان من ثياب القنب لعله يكون على الميت منها زهاء ألف ذراع وقد كفن كل عضو على انفراده كاليد والرجل والاصبع فى قطع دقاق ، ثم بعد ذلك تلف جثة الميت جملة حتى يرجع كالحمل العظيم . ومن كان يتتبع هذه النواويس من الأعراب وأهل الريف وغيرهم يأخذ هذه الأكفان فما وجد فيه تماسكا ، اتخذه ثيابا أو باعه للوراقين يعملون منه ورق العطارين . ويوجد بعض موتاهم فى توابيت من خشب الجميز ثخين ، ويوجد بعضهم فى نواويس من حجارة اما رخام واما صوان وبعضهم فى أزيار مملوءة عسلا ، وخبرنى الثقة أنهم بينما كانوا يتقفون المطالب عند الأهرام صادفوا دنا مختوما ففضوه فاذا فيه عسل ، فأكلوا منه فعلق فى اصبع أحدهم شعر فجذبه فظهر لهم صبى صغير متماسك الأعضاء رطب البدن عليه شئ من الحلى والجوهر . وهؤلاء الموتى قد يوجد على جباههم وعيونهم وأنوفهم ورق من الذهب كالقشر ، وقد يوجد منه أيضا على فرج المرأة وربما وجد قشر من الذهب على جميع الميت كالغشاء ، وربما وجد عنده شئ من الذهب والحلى والجوهر ، وربما وجد عنده آتة التي كان يزاوئل بها العمل فى حياته . وخبرنى الثقة أنه وجد عند ميت منهم آلة مزين ، مسنا وموسى ، وعند آخر آلة الحجام ، وعند آخر آلة الحائك ، ويظهر من حالهم أنه قد كان من سنتهم أن يدفنوا مع الرجل آتة وماله .

وسمعت أن طوائف من الحبشة هذه سنتهم يتطيرون بمتاع الميت أن يمسوه أو يتصرفوا فيه وكان لنا قريب دخل الحبشة واكتسب مالا منه مائتا أوقية من الذهب ، وانه لما مات أكرهوا رجلا مصريا كان معه على أخذ ماله فأخذه ممتنا عليهم *

وقد كان من سنتهم ، والله أعلم ، أن يجعل مع الميت شيء من الذهب ، فخبرنى بعض قضاة بوسير وهى مجاورة لمداقنهم أنهم نبشوا ثلاثة قبور فوجدوا على كل ميت قشرا رفيعا من الذهب لا يكاد يجتمع فيه ، وفى كل منها سبيكة من الذهب فجمع السبائك الثلاث فكان وزنها تسعة مثاقيل ، والحكايات فى ذلك أوسع من أن يحصرها هذا الكتاب *

وأما ما يوجد فى أجوافهم وأدمغتهم من الشيء الذى يسمونه موميا فكثير جدا ، يجلبه أهل الريف الى المدينة ويبيع بالشيء النزر ولقد اشتريت ثلاثة رؤوس مملوءة منه بنصف درهم مصرى *

وآرانى بائعه جولقا مملوءا من ذلك فيه الصدر والبطن وحشوه من هذا الموميا ، ورأيته قد داخل العظام وتشربته وسرى فيها حتى صارت كأنها جزء منه ، ورأيت أيضا على قحف الرأس أثر ثوب الكفن وأثر النساجة قد انتقش فيه كما يرسم على الشمع اذا ختمت به على ثوب وهذا الموميا هو أسود كالقار ، ورأيته اذا اشتد عليه حر الصيف يجرى ويلصق بما يدنو منه ، واذا طرح على الجمر غلى ودخن منه رائحة القار أو الزفت ، والعالب أنه زفت ومر *

وأما الموميا بالحقيقى فشيء ينحدر من رءوس الجبال مع المياه ، ثم يجمد كالقار ويفوح منه رائحة زفت متخلوط

بمر • وقال جالينوس : الموميا يخرج من العيون كالقار والنفط • وقال غيره : هو صنف من القار ويسمى حيض الجبال ، وهذا الذي يوجد في تجاويف الموتى بمصر لا يبعد عن طباع الموميا وان يستعمل بدله اذا تعذر •

ومن أعجب ما يوجد في مدافنهم أصناف الحيوان من الطير والوحش والحشرات ، وقد كفن الواحد منها في كذا وكذا ثوبا وهو محتاط عليه محتفظ به ، وخبرني الثقة أنهم وجدوا بيتا تحت الأرض محكما ففتحوه فوجدوا فيه لفائف ثياب القنب وقد تقمطت فأزالوها مع كثرتها فوجدوا تحتها عجلا صحيحا قد أحكم تقميطة ، وحدثني آخر أنهم وجدوا صقرا فنشروا عنه من لفائف الثياب حتى عيوا فوجدوه ، لم تسقط منه ريشة ، وحكى لي مثل ذلك عن هر وعن عصفور وعن خنفساء وغير ذلك مما يطول شرحه ويهجن ذكره •

وحكى لي الأمير الصادق أنه كان بقوص ، فجاء اليه من يبحث عن المطالب فذكروا له أنهم انخسفت بهم هوة ، موهمة أن فيها دفيئا ، فخرج معهم بجماعة متسلحين وحفروا فوجدوا زيرا كبيرا موثق الرأس بالجص ، ففتحوه بعد الجهد فوجدوا فيه كالأصابع مكفنا بخرق فحلوه فوجدوا تحتها صيرا وهو سمك صغار وقد صار كالهباء اذا نفخ طار ، فنقلوا الزير الى مدينة قوص بين يدي الوالي واجتمع عليه نحو مائة رجل فحلوا الجميع حتى أتوا على آخره وهو كله صير مكفن ليس فيه سوى ذلك •

ورأيت أنا بعد ذلك في مدافنهم ببوصير من العجائب مالا يفي به هذا الكتاب ، فمن ذلك اني وجدت في هذه المدافن مغائر تحت الأرض مبنية باتقان وفيها رسم مكفنة ،

وقى كل مغارة عدد لا يحصى ومن المغائر ما هو مملوء برمم الكلاب ، ومنها ما هو مملوء برمم البقر ، ومنها ما فيه رمم السنانير والجميع مكفن بخرق القنب ، ورأيت شيئا من عظام بنى آدم وقد تمشق حتى صار كالليف الأبيض لقدمه ، ومع ذلك فأكثر الرمم التى رأيتها صلبة متماسكة جدا يظهر عليها من الطرارة أكثر من رمم الهالكين سنة سبع وتسعين وخمسائة الآتى ذكرها آخر كتابنا هذا ، و سيما ما كان من الرمم القديمة قد انصبغ بالزفت والقطران فانك تجدها فى لون الحديد وصلابته ورزانتة ، ورأيت من جماجم البقر ما شاء الله وكذلك جماجم الغنم و فرقت بين رؤوس المعز والضأن وبين رؤوس البقر والثيران ، ووجدت لحم البقر قد التصق بالأكفان حتى صار قطعة احدة حمراء تقرب الى السواد ، ويخرج العظم من تحتها أبيض وبعض العظام أحمر وبعضها أسود وكذلك فى عظام الأدمى ، ولا شك فى أن الأكفان كانت تبل بالصبر والقطران وتشرب به ثم يكفن بها فلذلك يصبغ اللحم ويبقيه وما نال منها العظم صبغته فاحمر واسود . ووجدت فى عدة مواضع تلالا من رمم الكلاب لعله يكون فى جملتها مائة ألف رأس كلب أو يزيد وذلك مما يثير الباحثين عن المطالب ، فان جماعة يجعلون مكاسبهم من هذه القبور وأخذ ما سنح لهم من الخشب والخرق وغيره . واستقرت جميع المواضع المحكمة فلم أجد فيها رأس فرس ولا جمل ولا حمار فبقى ذلك فى نفسى . فسألت مشايخ بوسير فبادروا الى اخبارى بأنهم قد تقدمت فكرتهم فى ذلك واستقراؤهم اياه فلم يجدوه . وأكثر توابيتهم من خشب الجميز وفيه القوى الصلب ومنه ما صار فى درجة الرماد ، وخبرنى قضاة بوسير بعجائب منها أنهم وجدوا ناوسا من حجر ففضوه فلقوا فيه ناوسا ، ففضوه فوجدوا فيه تابوتا ،

ففتحوه فوجدوا فيه سحلية وهى سام ابرص مكفنة محتاطا
عليها معنيا بها .

ووجدنا عند بوصير أهراما كثيرة منها هرم قد انهدم
وبقى قلبه فقسناه من مبدأ أساسه فوجدناه لا يتقاصر عن
هرمى الجيزة .

وجميع ما حكيناه من أحوال مدافنهم ببوصير يوجد نحوه
وأمثاله بعين شمس وبالبرابى وبغيرها .

واعلم أن الأهرام لم أجد لها ذكرا فى التوراة ولا فى
غيرها ولا رأيت أرسطو ذكرها ، وإنما قال فى اثناء قوله فى
السياسة : كما كان من سنة المصريين البناء ، وللاسكندر
الأفروديسى تاريخ صغير ذكر فيه اليهود والمجوس والصابئة
وتعرض بشيء من أخبار القبط ، وأما جالينوس فرأيته ذكر
الأهرام فى موضع واحد وجعله من هرم الشيشوخة ، وقال فى
كتاب شرح الأهوية والبلدان لبقراط : فمن أراد أن يتعلم
صناعة النجوم فعليه بمصر ، فان أهلها قد عنوا بذلك عناية
تامة . هذا معنى قوله ، وقال فى كتاب عمل التشريح : فمن
أراد أن يشاهد كيفية تركيب العظام وهيئتها ؛ فينبغى له
أن يقصد الاسكندرية ويشاهد موتى القدماء .

واعلم أن القبط بمصر نظير النبط بالعراق . ومنف
نظيرة بابل والروم والأقاصر بمصر نظير الفرس والأكاسرة
بالعراق والاسكندرية نظير المدائن، والفسطاط نظير بغداد .
والجميع اليوم بعد الاسلام وتشمله دعوة بنى العباس .

الفصل الخامس

فيما شوهد بها من غرائب الأبنية والسفن

وأما أبنيتهم ففيها هندسة بارعة وترتيب في الغاية . حتى انهم قلما يتركون مكانا غفلا خاليا عن مصلحة ودورهم أقبح (١) وغالب سكناهم في الأعلى ويجعلون منافذ منازلهم تلقاء الشمال والرياح الطيبة ، وقلما تجد منزلا الا وتجد فيه باذاهيج (٢) وباذاهيجاتهم (٣) كبار واسطة للريح عليها تسلط ويحكمونها غاية الاحكام ، حتى انه يقوم على عمارة الواحد منها مائة دينار الى خمسمائة ، وان كانت باذاهيجات المنازل الصغار يفرم على الواحد منها دينار وأسواقهم وشوارعهم واسعة وأبنيتهم شاهقة ويبنون بالحجر النحيت والطوب الأحمر وهو الآجر ، شكل طوبهم على نصف طوب العراق .

ويحكمون قنوات المراحيض ، حتى انه تخرب الدار والقناة قائمة ، ويحضرون الكنف (٤) الى الممين فتغير عليها برهة من الدهر طويلة ولا يفتقر الى كسح . واذا أرادوا

(١) هذا خطأ من طبعة مجلة المصري ، والصحيح ما ورد في طبعة مطبعة وادي

النيل : أشبح ، أي فيحاء ، وليس أقبح .

(٢) هي طبعة مطبعة وادي النيل باداهنج .

(٣) هي طبعة مطبعة وادي النيل باداهنجاتهم .

(٤) جمع كنيف (دورة المياه) .

ببناء ربيع أو دار ملكية أو قيسارية استحضرت المهندس وفوض إليه العمل فيعمد الى العرصة وهى تل تراب أو نحوه فيقسمها فى ذهنه ويرتبها بحسب ما يقترح عليه ، ثم يعمد الى جزء جزء من تلك العرصة فيعمره ويكمله بحيث ينتفع به على انفراده ويسكن ، ثم يعمد الى جزء آخر ولا يزال كذلك حتى تكمل الجملة بكمال الأجزاء من غير خلل ولا استدراك .

وأما المسناة فيسمونها الرزينة ولهم فى بنائها اتقان حسن ، وصفته أن يحفر الأساس حتى تظهر النداءة وثرير الماء فحينئذ يوضع ملبن من خشب الجميز أو نحوه على تلك الارض الندية بعد ما تمهد ، ويكون عرضه نحو ثلثى ذراع وقطر حلقته نحو ذراعين مثل الذى يجعل فى قعر الآبار ثم يبنى عليه بالطوب والجير نحو قامتين فيصير بمنزلة النصور . فيأتى الغواصون وينزلون هذه البير ، يحفرونها وكلما نبع الماء نزحوه من الطين والرمل ، ويحفرون أيضا تحت ذلك الملبن فكلمما تخلخل ما تحته وثقل بما عليه من البناء نزل وكلما نزل غاصوا عليه وحفروا تحته والبناء فى أثناء ذلك يبنى عليه ويرفعه ، ولا يزال البناء يرفع والفاعل تحته يحفر وهو بثقله يغوص حتى يستقر على أرض جلدة ويصل الى الجد الذى يعرفونه ، فحينئذ ينتقلون الى عمل آخر مثله على سمته وعلى بعد أربع أذرع منه أو نحوها ، ولا يزالون يفعلون ذلك فى جميع طول الأساس المفروض ثم يبنون الأساس كالعادة بعد ردم هذه الآبار ؛ فترجع أوتادا راسية للبناء وعمدا تدعمه وتوثقه .

وأما حماماتهم فلم أشاهد فى البلاد أتقن منها وصفا ولا أتم حكمة ولا أحسن منظرا ومغبرا . أما أولا ، فان أحواضها يسع الواحد منها ما بين روايتين الى أربع روايا

وأكثر من ذلك يصب فيه ميزابان ثجاجان حار وبارد وقبل ذلك يصبان فى حوض صغير جدا مرتفع ، فاذا اختلطاً فيه جرى منه الى الحوض الكبير وهذا الحوض نحو ربعة فوق الأرض وسائرة فى عمقتها ينزل اليه المستحم فيستنقع فيه * وداخل الحمام مقاصير بأبواب ، وفى المسلح أيضا مقاصير لأرباب التخصص ؛ حتى لا يختلطوا بالعوام ولا يظهروا على عوراتهم وهذا المسلح بمقاصيره حسن القسمة ملىح البنية وفى وسطه بركة مرخمة وعليها أعمدة وقبة ، وجميع ذلك مزوق السقوف مفوف الجدران مبيضها مرخم الأرض بأصناف الرخام مجزع باختلاف ألوانه ، وترخيم الداخل يكون أبدا أحسن من ترخيم الخارج وهو مع ذلك كثير الضياء مرتفع الازاج ، جاماته مختلفة الألوان ضافية الأصباغ بحيث اذا دخله الانسان لم يؤثر الخروج منه ؛ لأنه اذا بالغ بعض الرؤساء فى أن يتخذ دارا لجلوسه وتناهى فى ذلك لم تكن أحسن منه *

وفى موقده حكمة عجيبة ، وذلك أن يتخذ بيت النار وعليه قبة مفتوحة بحيث يصل اليها لسان النار ويصف على أفاريزها أربع قدور رصاص كقدور الهراس لكنها أكبر منها ، وتتصل هذه القدور قرب أعاليها بمجار من أنابيب فيدخل الماء من مجرى البير الى فسقية عظيمة ، ثم منها الى القدر الأولى فيكون فيها باردا على حاله ثم يجرى منها الى الثانية فيسخن قليلا ، ثم الى الثالثة فيسخن أكثر من ذلك ثم الى الرابعة فيتناهى حره ، ثم يخرج من الرابعة الى مجارى الحمام فلا يزال الماء جاريا وحارا بأيسر كلفة وأهون سعى وأقصر زمان وهذا العمل حاكوا به فعل الطبيعة فى بطون الحيوان وطبخها الغذاء ، فان الغذاء يتنقل فى الأمعاء وآلات

الغذاء التي هي لكل حيوان وكلما صار الغذاء الى مصير ،
حصل على صنف من الهضم ومقدار من النضج حتى يصل الى
المعاء الأخير وقد تنأهى *

واعلم أن هذه القدر كل حين تحتاج الى تجديد
ما ينقصها فتوجد القدر الأولى التي هي وعاء البارد قد
نقصت أكثر من نقصان القدر التي هي وعاء الحار بمقدارين
ولذلك علة طبيعية ليس هذا موضعها *

ويفرشون أرض الأتون التي هي مقر النار بنحو خمسين
اردياً ملحاً وهكذا يفعلون بأرض الأفران ؛ لأن الملح من طبعه
حفظ الحرارة *

واما سفنهم فكثيرة الأصناف والأشكال واغرب ما رأيت
فيها مركب يسمونه العشري شكله شكل شبارة داخله ، الا أنه
أوسع منها بكثير وأطول وأحسن هنداماً وشكلاً ، قد سطح
بالسواح من خشب ثمينة محكمة وأخرج منها أفرانين
كالرواشن (٥) نحو ذراعين ، وبني فوق هذا السطح بيت من
خشب وعقد عليه قبة وفتح له طاقات ورواذن بأبواب الى
البحر من سائر جهاته ثم تعمل في هذا البيت خزانة مفردة
ومرحاض ، ثم يزوق بأصناف الأصباغ ويدهن بأحسن
دهان *

وهذا يتخذ للملوك والرؤساء بحيث يكون الرئيس
جالساً في وسادته وخواصه حوله والغلمان ، والماليك قيام
بالمناطق والسيوف على تلك الرواشن وأطعمتهم وحوائجهم
في قعر المركب، والملاحون تحت السطح أيضا وفي باقى المركب

(٥) جمع روشان والمقصود بها التراس الصغير أو البلكونة *

يقذفون به لا يعلمون شيئاً من أحوال الركاب ولا الركاب تشتغل خواطرهم بهم كل فريق بمعزل عن الآخر ومشغول بما هو بصدده ، وإذا أراد الرئيس الاختلاء بنفسه عن أصحابه دخل المخدع ، وإذا أراد قضاء حاجته دخل المرحاض ، والملاحون بمصر يقذفون إلى ورائهم فهم في قذفهم يشبهون الحبالين في مشيهم القهقري ويشبهون في تحريكهم السفن من يجذب ثقلاً بين يديه ويمشى به إلى خلفه ، وأما ملاحو العراق فهم بمنزلة من يدفع الثقل أمامه ويدسر به فسفتهم تتوجه حيث الملاح متجه ، وأما سفن مصر فهي تتحرك إلى ضد الجهة التي إليها الملاح متوجه - وأما أي الحالتين أسهل والبرهان عليها فموضعه العلم الطبيعي وعلم تحريك الأثقال .

الفصل السادس

فى غرائب أطعمتها

فمن ذلك النيذة (٦) وهى بمنزلة الخبيص حمسراء الى السواد وهى حلوة لا فى الغاية وتتخذ من القمح بأن ينبت ثم يطبخ حتى يخرج نشاء وقوته فى الماء ، ثم يصفى ويطبخ ذلك الماء حتى يغلظ ، ثم يذر عليه الدقيق ويعقد ويرفع فيباع بسعر الخبز وهذه تسمى نيذة البوش ، وقد يطبخ ذلك الماء وحده حتى ينعقد من غير دقيق وتسمى النيذة المعقودة وهى أعلى من الأولى وأعلى *

ويختصون أيضا باستخراج دهن بزر الفجل والسلجم والخس ، ويستصبحون به ويعملون منه الصابون ، وصابونهم رطب أحمر وأصفر وأخضر وبه شبهت الصابونية واليابس نسبت *

(٦) ورد فى تذكرة داود (القرن ١١ هـ) عن النيذة ما بلى :
« (نيذة) هى حلوة تعمل بمصر من الحنطة دون أن يخالطها شيء من الحلوات وأجودها النقى المسادق الحلاوة المحكم الطبخ ؛ وهى حارة فى الأولى معتدلة أجود من النشا تولد خلطا جيدا وتسمن المهزولين وتعدل البلغم وتنفع من البخار السوداوى والوسواس والماليخوليا والسعال اليابس وأوجاع الصدر وهى بطيئة الهضم ثقيلة تولد السدد والحميات والمطبوخ منها باللوز رديء جدا وينبغى أن تؤكل على الجوع ولا تتبع بشيء حتى تهضم وإن لا يتناولها صاحب دعة ؛ لأنها من أغذية أصحاب الكد ويصلحها السكنجيين وماء الهندبا » *

وأما أطبختهم فالحوامض منها والسواذج هي المعهودة أو قريية من المهودة ، وأما المحليات فغريبة وذلك أنهم يتخذون الدجاج بأصناف من الحلويات، وسبيل ذلك أن تسلق الدجاج ثم ترمى في الجلاب ويلقى عليه بندق مدقوق أو فستق أو خشخاش أو بزر رجلة أو ورد ويطبخ حتى ينعقد ثم يتبل ويرفع ، وتسمى هذه الأطبخة بالفستقية والبندقية والخشخشية والوردية وست المنوية للتي تعقد ببزر الرجلة لسوادها ويتفننون في ذلك تفننا يحتاج الى شرح أكثر من هذا .

أما الحلويات المتخذة من السكر ، فأصناف كثيرة يؤدي استقصاؤها الى الخروج عن الغرض ويحوج الى وضع كتاب مفرد ، وقد يتخذ منها ما يصلح لمداواة الأمراض والآرباب الحمية من المرضى والناقهين اذا تاقت أنفسهم الى الحلوى ، فمن ذلك خبيص اليقطين وخبيص الجزر والوردية المتخذة بالورد والزنجبيلية المتخذة بالزنجبيل ، وكأقراص العود وأقراص الليمون والأقراص الممسكة وغير ذلك ، وكثيرا ما يستعملون الفستق في أطبختهم وحلواتهم عوض اللوز وهو مما يفتح سدد الكبد ، ويتخذون منه هريسة تسمى هريسة الفستق وهي لذيذة جدا مسمنة وموادها لحم دجاج مسلوق منسر جزء وجلاب جزءان ومثل ثمن الجميع أو تسعه فستق مقشور مهروس، وكيفية عمله أن يمسح اللحم المنسر بالسيرج ويجعل باليدست بحيث يشم النار ويسكب عليه الجلاب ويضرب حتى ينعقد ثم يلقي على الفستق ويضرب حتى يختلط ثم يرفع .

ومن غريب ما يتخذونه رغيف الصينية وصفته أن يؤخذ من الدقيق الحواري ثلاثون رطلا بالبغدادى ويمجن

مع خمسة أرطال ونصف سيرجا عجن خبز الخشكنان (٧) ثم يقسم بقسمين ويبسط أحدهما رغيفا في صينية نحاس قد اتخذت لذلك سعة قطرهما نحو أربعة أشبار ولها عرى وثيقة، ثم يعبى على الرغيف ثلاثة أخرفة مشوية محشوة الأجواف بلحم مدقوق ومقلو بالسيرج والفسق المهروس والأفاويه العطرة الحارة بالفلفل والزنجبيل والقرقة والمصطكى (٨) والكزبرة والكمون والهال (٩) الجوزة ونحو ذلك ، ويرش

(٧) لم تذكره داود أن الخشكنان ويكتب أيضا الخشكناج هو دقيق الحنطة اذا عجن بشيرج وبسط وملء بالسكر واللوز أو الفستق وماء الورد وجمع وخبز ، وأهل الشام يسمونه المكفن ...

(٨) ورد في تذكرة داود الانتاكي : (مصطكى) معرب عن مصطيخا اليوناني يسمى الكنة والعلك الرومي والمراد بهذا الاسم عند الاطلاق الصمغ ، وهو نوعان : أبيض ناعم طيب الرائحة فيه لدونة حلو أسود الى المرارة يسحق ويسمى المعلق قيل انه يؤخذ بالشرط والصحيح أن الأول هو المدفوع بحركة الطبيعة الى ظاهر العود كغيره من الصمغ ، والثاني يؤخذ من العود الغض والورق بالطبخ ولا يوجد الا بصاقس من أعمال رودس مما يلي الترك هي الخامس وقيل يوجد بأشبيلية من الأندلس ولكنه غير جيد وشجرها في السبابة ولطف العود والورق كشجر الأراك ولها ثمر يقضم الى المرارة ويؤخذ هذا الصمغ في شمس الجوزاء وتبقى قوته نحو عشرين سنة وهي حارة في الثانية يابسة في الثالثة تذهب الصداع والتزلات وتسهل البلغم مع الغاريقون وما تشبهت بالصغفاء مع الصبر والسوداء والوسواس وحديث النفس ومبادئ المالمخوليا مع الاهليجات وتوقف التوازن وتنقى القصبية وتقطع النفث والنزف مع الكهريا مجرب وتحذ الفهم مع الكندر وتذهب قراقر المعدة وسوء الهضم والرياح الغليظة وضعف الكبد والطحال وألم الكسر والخلع والوشى والقروح مطلقا وان طبخت في الشيرج وقطرت في الأذن فتحت السدد وأزالت الصمم مجرب وتلصق وان نجر بها قطن بل ماء ورد وجعل على العين سكنت الرمذ والوجع مجرب وتعديل الأسنان واللثة كيف استعملت وان طبخت مع الزيت أزالمت النافض والكزاز والرعشة والضريران والأعيان مجرب .

(٩) هو ما يعرف في مصر باسم حبهان ، وفي الخليج والسعودية باسم الهيل ، وقد أورده داود في تذكرته تحت اسم قاقلة . يقول الانتاكي :

(قاقلة) هو الهيلبوا والهال والشوشمير وهو حب يخرج في اصل نحو دراعين عريض الأوراق خشن حاد الرائحة يكون فيه هذا الحب كما يرى بهذه الصورة مفرقا وهو ذكر مثلث الشكل بين طول واستدارة ينفرك عن الشكل المذكور وقد رصفت فيه الحبات كل واحدة كالعنسة لكنها ليست مفرطحة وانثى غلافها نحو اصبع مثلث أيضا ينفرك عن حب كالحمص ومنابت الكل أرض الدكن وجبال ملقعة ويدرك بشمس الأسد وتبقى قوته عشر سنين وهو حار يابس والصغير في الثانية والكبير في الثالثة يطيب =

عليه ماء ورد قد أذيب فيه مسك ثم يجعل على الخرفان وبين خلالها عشرون دجاجة وعشرون فروجا وعشرون فرخا بعضه مشوى محشو بالبيض وبعضه محشو باللحم وبعضه مطجن بماء الحصرم (١٠) أو بماء الليمون أو بنحو ذلك ، ثم يشور بالسنبوسك (١١) والقماقم المحشوة باللحم بعضها وبالسكر والحلوى بعضها ، وان شئت أن تزيده خروفا آخر تتخذه شرائح فلا بأس وكذا جنبا مقلوا ، فاذا نضد ذلك وصار كالفطة نضح عليه ماء ورد قد

= الغم ويزيل البخار والروائح الكريهة ويرد المعدة والكبد والرياح الغليظة والحصى أكلا والمرع سعوطا والقىء بماء الرمان والسدد بالسكنجيين ويفرح تفريحا عظيما خصوصا الكبار والصغير في الهضم أجود وهو يضر السفلى ويصلحه كثيرا وشربته الى درهمين وبدله نمفه كباية ومثله حب بلسان .

(١٠) (حصرم) هو الأخضر من العنب وأجوده الخالى من الحلاوة ويدرك بحزيران وهو بارد يابس في الثانية أو ييبسه في الأولى يقطع الاخلاط الصفراوية والدوخة والعطش ويزيل الاسترخاء والترهل مطلقا ومبادئ الحصف والحكة دلكا خصوصا يابسه ويطيب العرق وماؤه في ذلك اشد واذا طبخ به ورق الزيتون حتى يصير درهما قلع الأسنان اذا وضع عليها بلا آلة واذا عصر وجفف في الشمس ورفع كانت هذه نافعة من الخناق وأورام الحلق واسترخاء المقعدة وسقوط اللهاة والرعاف وقذف الدم مطلقا والجدرى والاسهال المزمن شربا وطلاء وتصلح القلاع وتعرف برب الحصرم والأولى تجفيفها في نحو الزجاج لا في نحاس أحمر لأنه يضر الحوامل ومتى مزج هذا الماء أو العصارة الجافة بشيء من العسل ووضع في الشمس كان شرابا جيدا كما نكر في العصارة واذا حلت بماء الكراث جففت البواسير طلاء أو حملت فرزجة نقت الرحم وأصلحته بالغا وهو يضر الصدر ويحدث السعال ويصلحه الجلنجبين وشراب الخشخاش وأصلحه أن لا يستعمل قبل سنة وشربة العصارة الى مثقال والشراب الى رطل وبدله ماء التفاح الحامض .

(١١) (سنبوسك) باليونانية بزماورد وهو عجين يحكم عجنه بالادمان كالشيرح والسمن ثم يرق ويحشى بلحم قد نعم طعمه وفوه ويزر ممزوجا بالبيض والشيرج يطوى عليه ويقلى في الدهن أو يخبز وأجوده ما حمض بنحو الليمون وكان لحمه صغيرا أو عمل من الدجاج وهو حار رطب في الثانية والمخبوز يابس في الأولى يفذى جيدا ويسمن ويربي الشحم ويقوى الأعصاب ويهيج الشهوة والمخبوز للمرطوبين أجود من المقلى والمقلى لأصحاب السواد والهزال أجود وهو ثقيل عسر الدضم يولد السدد والرياح الغليظة واذا تجاوز بعد خبزه أكثر من يومين في الصيف فلا يجوز تعاطيه ويصلحه

السكنجيين .

أذيب فيه مسك وعود ، ثم غطى بالقسم الثاني من العجين بعد أن يمد رغيفا ويلحم بين الرغيفين كما يلحم الخشكان بحيث لا يخرج منه نفس أصلا ، ثم يقرب الى رأس التنور حتى يتماسك عجينه ويبتدىء في النضج فحينئذ ترسل الصينية في التنور بعراها رويدا رويدا ، ويصبر عليه ريثما ينضج الخبز ويتورد ويحمر ثم يخرج ويمسح بالسفنجة فيرش عليه ماء ورد ومسك ويرفع للأكل . وهذا الصنيع يصلح أن يحمل مع الملوك وأرباب الترف الى منضدياتهم النائبة ومتنزهاتهم النازحة ؛ فانه وحده جملة فيها تفصيل سهل المحمل عسر التشعث جميل المنظر مشكور المخبر يحفظ الحرارة مدة طويلة .

وأما عوامهم فقلما يعرفون شيئا من ذلك ، وأكثر أغذيتهم الصبر والمسحاة (١٢) والدالينس والخبز

(١٢) (صبر) بكسر الموحدة ويقال صبارة اضلاعه كالقرنبيط وأعرض وعلى اطرافه شوك صغار وتعيش أين وضعت كالعنصل وتكتفى بالهواء عن الماء وإذا عتقت قام في وسطها قضيب نحو ذراع يحمل ثمرا كالبالح الصغير أخضر ويحمر عند استوائه وهذا الثمر منه دقيق الطرفين يسمى أنثى ومتناسب غليظ هو الذكر والصبر عصارة هذه الاصلح وهو اما أصفر الى حمرة سريع التفتت براق طيب الرائحة وهو السقطرى أو صلب اغبر يسمى العربى أو كدهش يسمى السمجائى بالمعجمة التحلية وهو رديء والصبر من الادوية الشريفة قيل لما جلبه الاسكندر من اليمن الى مصر كتب اليه المعلم أن لا تقيم على هذه الشجرة خادما غير اليونانيين لأن الناس لا يدرون قدرها ، وأجود ما اعتصر فى السرطان ثم يوضع بعد التشميس فى الجلود وتبقى قوته أربع سنين وعلامة الحديث منه خلوه عن السودا وتخلقه بلون الكبد اذا نفع فيه وهو حار يابس فى الثالثة أو الثانية يخرج الاخلاط الثلاثة وينقى الدماغ مع المصطكى والمفاصل بالعاريقون والريو وأوجاع الصدر وأمراض المعدة كلها والطحال والكلى ويقع فى الحبوب النفيسة ويقوى أفعال الادوية ويجذب من الاقاصى ويفتح السدد الى طريق الكبد ويحفظ الأبدان من البلى ويذهب رياح الاحشاء والحكة والجرب والقروح والقواى والجنون والجدام والوسواس والبواسير والشقاق شربا وانسقطة والضربة والأورام والآثار والنزلات والصداق والنملة والحمرة وانتشار الأواكل حلام بعسل أو غيره ومع المرسين والسذاب يطول الشعر ويسوده ويمنع تساقطه ويقتل القمل وينبت الشعر بعد القراع مجرب ، وإذا حل بالخل وغسل به اذهب السعفة والحزاز ودام الثعلب والاكتمال به يحد البصر ويذهب السلاق =

والنيدة ونحو ذلك وشرابهم البوظة وهو نبيذ يتخذ من القمح ، ومنهم أصناف يأكلون الفأر المتولد فى الصحارى والغيطان عند انحطاط النيل ويسمونه سمانى الغيط ، وبالصعيد قوم يأكلون الثعابين والميتان من الحمير والدواب، وبأسافل الأرض قد يتخذ نبيذ من البطيخ الأخضر، وبدمياط يكثر أكل السمك ويطبخ بكل ما يطبخ به اللحم من الرز والسماق والمدققات وغير ذلك .

آخر المقالة الأولى والحمد لله رب العالمين وصلى الله على

سيد المرسلين .

= والجرب والحرقة وغلظ الأجفان وإن طبخ بماء الكواث وسلخ الحية أبراً امراض المقعدة جميعاً واسقط البواسير كيف استعمل وهو يبول الدم ويضر الشبان ويفسد الكبد ويبقى فى طبقات المعدة سبعة أيام وتصلحه المصطكى والورد الأصفر والأفسنتين والزعفران وشربته مثقال وبدله حضض أو نصفه أفسنتين وربعه زعفران وإن لا يستعمل منه غير السقطرى (صبار) التمر هندي . أما (صحناء) لا تعرف إلا بالعراق ويقرب منها ما يعمل بمصر ويسمى الملوحة . وصنعتة : أن يؤخذ السمك الصغار أو تقطع الكبار صغاراً وتترك ثلاثة أيام ثم تغمر بالماء والملح أياماً حتى تنهري فتصفى وترفع والملوحة تبقى صحيحة وكله حار يابس فى أوائل الثاية يجلف الرطوبات ويذهب للبخر وتتن الابط وينفع من الفالج وهى تعفن الخلط وتقرح وتعطش ويصلحها الزنجبيل بالخاصية والحلاوات .

المقالة الثانية

الفصل الاول

فى النيل وكيفية زيادته ونقصانه وقوانين ذلك

اعلم أن نيل مصر يمد وقت نضوب مياه الأرض وذلك فى شمس السرطان والأسد السنبله ، فيعلو على الأرض ويقيم أياما فاذا نزل عنها حرثت وزرعت ، ثم يكثر الندى فى الليل جدا وبه يتغذى الزرع الى أن يحصد ، ونهاية ما تدعو اليه الحاجة من الزيادة ثمانى عشرة ذراعا فان زاد على ذلك ، فانه يروى أمكنة مستعملية وكأنه ناقله وعلى جهة التبرع ونهاية ما يزيد على جهة الندرة أصابع من عشرين ذراعا وعند ذلك تستبحر أمكنة يدوم مكث الماء عليها فتفوت زراعتها ويبور من البلاد مما عادته أن يزرع نحو مما روى مما عادته أن يشرق ، ولنسم الثمانى عشرة نهاية الضرورى ولنسم العشرين نهاية الافراط وكل نهاية بين هاتين فلها ابتداء يقابلها * فابتداء الضرورى ست عشرة ذراعا ويسمى ماء السرطان ، اذ عنده يستحق الخراج ويدوى به نحو نصف البلاد ويغل من القوت بمقدار ما يحان أهل البلاد سسنتهم جمعا مع توسع ويروى سائر البلاد المعتادة بالرى بما زاد على ست عشرة ذراعا الى ثمانى عشرة ، وهذا يقل بمقدار

ما يميز أهل البلاد سنتين فصاعدا ، وأما ما نقص عن ست عشرة ذراعا فيروى به ما هو دون الكفاية ولا تحصل منه ميرة سنتهم ، ويكون تعذر القوت بمقدار نقصانه عن ست عشرة ذراعا .

وحينئذ يقال ان البلاد قد شرقت ، واشتقاقها من قولهم شرقت الشمس اذا لمعت وظهرت ، وشرقت اللحم اذا نشرته ليجف ، ومنه قيل أيام التشريق لأن لحوم الأضاحي تشرق فيها أى تبسط ، ومنه أيضا قولهم شرق بالماء وبالشراب لأن الماء عند الاغتصاص وانسداد الحلق يظهر ويبرز ولا يلج ، ولما كانت الأرض في السنة التي يوفى نيلها بارزة لا يسترها الماء ولا يخفيها الغمر قيل شرقت ولم تتغط ولم ينلها النيل ، ويجوز أن يكون التشريق ريحا شرقية ؛ لأن الريح الشرقية والقبليّة وهى الجنوب هما عندهم دليل نقص الماء وسببه والغربية البحرية وهى الشمال هما عندهم دليل الزيادة وسببها ، فيكون معنى قولهم شرقت البلاد أى كثر هبوب الرياح الشرقية حتى نسفت الماء وأظهرت الأرض ، ثم سميت الأرض شرقية باسم الريح وجمعت على شراقي مثل كرسى وكراسى وبختى وبخاتى . وأما النيل فهو فعل من نال نيلا ومن نال ينول نولا ، يقال نولته تنويلا ونلته نولا اذا أعطيته ، والنيل اسم ما ينال مثل الرعى للمصدر والرعى لما يرعى وليس هذا من غرضنا ولكنه أمر عن فقلنا فيه .

فمتى نقص عن الست عشرة ذراعا فهو ابتداء التفريط المقابل للافراط ، وكنا قد سقنا فى الكتاب الكبير سننى الافراط والتفريط منذ الهجرة الى سنتنا هذه ، وأما هنا فانما نقص ما شاهدنا على ما شرطنا .

واتفق أن زيادة النيل بلغت سنة ست وتسعين وخمسمائة اثنى عشرة ذراعا واحدى وعشرين اصبعاً ، وهذا المقدار

نادر جدا ، فانه لم يبلغنا منذ الهجرة الى الآن أن النيل وقف على هذا الحد قط الا فى سنة ست وخمسين وثلثمائة ؛ فانه وقف على دون هذا المقدار بأربع أصابع ، وأما وقوفه على ثلاث عشرة ذراعا وأصابع ، فانه وقع نحو ست مرات فى هذه المدة الطويلة ، وأما أربع عشرة ذراعا وأصابع ، فانه وقع نحو عشرين مرة ، وأما خمس عشرة ذراعا فأكثر من ذلك كثيرا ونحن نسوق أحوال زيادته فى هذه السنة أعنى سنة ست وتسعين وخمسمائة ، ثم نتبع ذلك بما حصل عندنا من علل ذلك وقوانينه ، فنقول ان العادة جارية أن تبتدىء الزيادة من أبيب وتعظم فى مسرى وتتناهى فى توت أو بابيه ثم تنحط * فدخل أبيب فى هذه السنة وابتدأ النيل يتحرك بالزيادة وكان قبل ذلك بنحو شهرين قد بدت فى مائه خضرة سلقية ، ثم كثرت وظهرت فى رائحته ذفرة كريهة وعفونة طحلبية كأنه عصارة السلق اذا بقى أياما حتى يعفن وجعلت منه وعاء ضيق الرأس فعلاه سحابة خضراء فرفعتها برفق وتركتها تجف اذا بها طحلب لا شك فيه ، ويبقى الماء بعد رفع هذه السحابة غير صاف لا خضرة فيه الا أن طعمه وريحه باقيان ، وتجد فيه أيضا أجساما صفارا نباتية مبعثرة كالهباء ولا ترسب وصار أرباب الحمية يتجنبون شربه وانما يشربون ماء الآبار وأغليته بالنار ظنا منى أنه يصلح بذلك كما وصى الأطباء أن يفعل بالمياه المتغيرة فزاد طعمه وريحه كراهة وسهكا فوجدت عليه ، ذلك أن الأجزاء النباتية التى هى مبعثرة فيه يلطف الطبخ جوهرها فيختلط بالماء اختلاطا أشد عن الأول فيظهر التغير فى ريحه وطعمه أكثر ويصير ذلك بمنزلة الماء اذا طبخ فيه سلق أو فجل أو نحوه ، فان النار تمزج بين الماء ولطيف النبات ،

وأما الماء الذي يصلح بالطبخ وإياه قصد الأطباء فهو الذي تغيره بمخالطته أجزاء أرضية ، فانها تنفصل عنه بالطبخ لأن الماء حينئذ يطفئ فترسب فيه .

ثم انه دامت خضرته أياما من رجب وشعبان ورمضان ، واضمحلت في شوال ، وكان يصحب الخضرة دود وحيوانات وهذا التغير في الماء يكون بالصعيد أكثر لأنه أقرب الى المبدأ والمعدن ، وانتهت زيادته في الحادي عشر من توت الى اثنتى عشرة ذراعا واحدى وعشرين اصبعا ثم انحط . وورد في شوال رسول ملك الحبشة ومعه كتاب يتضمن موت مطرانهم ويلتمس عوضه ، وذكر فيه أن مطرهم في هذه السنة ضعيف وأن النيل قليل المد لذلك .

وكنا اقتصدنا في ذلك الكتاب حال النيل في هذه السنة وفي السنين الخوالى ، رجاء أن نعثر على نسب بينها وأعراض لها نقف منها على المتجددات من أحوال النيل في سنى النقصان ، فيمكننا تقدم المعرفة وأخذ الأهبة والانداز بالحوادث المتوقعة ، فان أقباط الصعيد يزعمون أنهم يتكهنون على مقدار الزيادة في السنة من طين معلوم الوزن ينجمونه في ليلة معروفة ويزنونه غدوة فيجدونه قد زاد فيحكّمون من مقدار زيادته على مقدار زيادة النيل ، وقوم يتكهنون من حمل النحل ، وقوم من تعسيل النحل .

فرايت في الغالب من حال القاع اذا كان أقل من المعتاد كانت الزيادة في تلك السنة أقل من المعتاد هذا حكمه الأكثرى ، فان أتت الخضرة في أول زيادته وقبيلها ، قوى الظن بضعف جريته فان طالت أيام الخضرة وضعف مقدار الزيادة ، قوى الظن جدا بقلته فان دامت الخضرة في أبيب أذن بقله المد وعله هذا ظاهرة ، أما كون قلة القاع دليلا على قلة

الزيادة ؛ فلأن المطر الذى هو علة الزيادة ينبغى أن يكون فيه من الكثرة ما يرد القاع الى الحالة المعتادة يزيد عليها الزيادة المعتادة وهذه كثرة لا تفى بها أمطار كل سنة ولا توجد كل وقت ، مثاله أن القاع اذا كان ذراعا مثلا فينبغى أن تكون الزيادة الى عشر أذرع ويكون هذا أيسر من الأول . وأيضا ، فان جرية النيل الأصلية مادتها عيون ، وأما زيادته فمادتها أمطار ونقصان العيون دليل على احتراق السنة ويبس الهواء وقلة البخار فيقل المطر لذلك ، وأيضا فان المد الزائد على القاع أكثره فى الغالب ثلاث عشرة ذراعا فاذا كان القاع ذراعا أو ذراعين ثم زاد عليه أكثر المد وهو ثلاث عشرة ذراعا ، لم يلحق ماء السرطان .

وأما كون الخضرة دليلا على قلة الزيادة ، فلأن النيل الماضى يغادر نقائع وغدراننا بعضها ينضب وبعضها يطحلب ويعطن ويأسن ، فاذا مرت بها أمطار ضعيفة اختلطت بها وصبتها الى النيل، ولم يكن فيها من الكثرة ما يغلب على النقائع فيصلحها بل النقائع تغلب على الأمطار المتصلة بها فتحيلها الى الفساد وينحط منها مقدار بعد مقدار ويتواصل اليأس ، وكلما كانت الأمطار أضعف وأقل كانت أيام جرى الخضرة أطول فاذا كانت أمطار قوية ، غسلت تلك المستنقعات وغلبت عليها وحورتها بسرعة مغمورة بطين تجرفه بقوتها فيخفى منظرها ، ويتعفى أثرها . وأيضا فان الأنهار الخارجة من جبل القمر تجتمع بأخرى الى بركة عظيمة ذات مساحة فسيحة ومن هذه البركة يخرج هذا النيل، ولا شك فى أن هذه البركة ملؤها دائم فيطحلب ولا سيما شطوطها وضحاها فاذا وقع الوسمى وجرى اليها سيولة ، أثارت ما فى قعرها وحركت ما كان ساكنا فيها وانكسح أيضا ما فى الشطوط

الى الأوساط وانسحبت الى حمل الجرية فاستصحبتته ، وأما كون الخضرة فى أبيب دليل النقصان فلأن أبيب مظنة الزيادة وغلبة الماء على هذه الأوشاب فاذا بقى على خضرته ابان زيادته أذن بقلته ، وهذه الأجزاء النباتية التى تصحب الماء انما هى حطام النبات المتكون فى الماء وحوله كالبردى والديس (١) والسمار المطحلب وغير ذلك فتعفن فيه وتصفى أجزاءه وتنبعث معه ، ومما يوجب انبعائها أيضا نقصان الماء من تلك البركة فان ماءها اذا قل اتصلت الجرية بقعرها فانسحب كدرها وراسبها ، واذا كانت غمرا كانت الجرية من أعلاها وصفوها فاعرف ذلك . ولهذا لا تأتى هذه الخضرة الا فى السنة التى يحترق فيها النيل وكلما كان احتراقه أشد ، كان ظهور الخضرة أكثر وفى السنة التى يكون نيلها غمرا لا يحترق لا ترى الخضرة ؛ لأن كثرته لكثرة مبدية وارتفاع جريه عن مقر كدورته *

فاذا اجتمعت هذه الدلائل كلها أو جلها فى سنة فظننا قويا بأن الزيادة قليلة فيها فهذه فائدة هذا الاقتصاص ، وفيه فوائد آخر منها أن من يأتى بعد اذا أضافه الى ما يشاهده ، يوشك أن يعثر منه على مناسبة أو دلالة أخرى على مقدار الزيادة والنقصان فى كل سنة ، ومنها ان أصحاب الأحكام النجومية اذا تأملوا المدد التى بين النقصانات والزيادات واعتبروا أحوال الكواكب والاقترانات فيها وطوالع مصر وبلاد السودان وارباب الولايات فيها من الكواكب ومزجوا ذلك ، أمكن أن تقوم لهم مما يتكرر صورة تجريبية فى مقدار الزيادة والنقصان فانى الى الآن لم أر لمنجمى مصر بذلك

(١) الديس عامية ، وهو جنس نبات من الفصيلة السعدية ويقال له أيضا أسل الخبز

عناية ، ولم أجد عندهم ما تسكن اليه النفس سوى كسر
ولا ينبنى على أصل *

فانه بهذا الطريق استخرج معظم أحكام النجوم ، وذلك
أنهم شاهدوا حوادث أرضية تقترب بنسب فلكية وحركات
علوية ورصدوا ذلك فألفوه يتكرر ؛ فنسبوا تلك الحوادث الى
تلك الهيئات والنسبات فصاروا متى عثروا فى تسييرهم
لحركات الأشخاص العلوية على مثل تلك النسبة والهيئة
حكموا بوقوع مثل تلك الحادثة *

ويروى عن أهل التجربة من قدماء الأقباط أنه اذا
كان الماء فى اثنى عشر يوما من مسرى اثنى عشره اصبعا
من اثنى عشره ذراعا فهى سنة ماء والا فالماء ناقص ، ورأيت
بعض من شرح الثمرة لبطليموس ذكر فى تفسير الكلمة
الأخيرة التى يقول فى أولها : النيازك تدل على جفاف الأبخرة
فاذا كان فى جهة واحدة دلت على رياح تعرض فى تلك الجهة
واذا كانت شائعة فى الجهات كلها ، دلت على نقصان المياه
واضطراب الهواء وعلى جيوش تختلف ، فقال هذا المفسر : انى
لأذكر فى سنة تسعين ومائتين أن الشهب بمصر انتشرت وعمت
الجو بأسره فارتاع الناس ولم تزل تكثر فلم يمض لذلك
جزء من السنة يسير حتى ظمىء الناس وبلغ نيل مصر ثلاث
عشرة ذراعا واضطرب الناس اضطرابا ، زالت به دولة
الطولونى من مصر وانتشرت فى سنة ثلثمائة من سائر جهات
الجو فنقص النيل أيضا ووقعت همجات واضطراب فى
المملكة ، وهذه لعمرى دلائل قوية ولكنها عامة لجميع
الأقاليم وليست خاصة بمصر فقط - على أنه أيضا قد وقع
هذا الحادث بعينه فى سنتنا هذه من تناثر الكواكب فى أولها
ونشيش الماء فى آخرها وتغير ملك لمصر فيها بعمه الملك
العادل بعد حرب كانت بينهما *

الفصل الثمانى

فى حوادث سنة خمس وتسعين وخمسائة

ودخلت سنة سبع مفترسة أسباب الحياة ، وقد يئس الناس من زيادة النيل وارتفعت الأسعار وأقحطت البلاد وأشعر أهلها البلاء وهرجوا من خوف الجوع وانضوى أهل السواد والريف الى أمهات البلاد وانجلى كثير منهم الى الشام والمغرب والحجاز واليمن وتفرقوا فى البلاد ومزقوا كل ممزق ، ودخل الى القاهرة ومصر منهم خلق عظيم ، واشتد بهم الجوع ووقع فيهم الموت ، وعند نزول الشمس الحمل وبيء الهواء ووقع المرض والموتان واشتد بالفقراء الجوع حتى أكلوا الميتات والجيف والكلاب والبعر والآرواث ، ثم تعدوا ذلك الى أن أكلوا صغار بنى آدم فكثيرا ما يعثر عليهم ومعهم صغار مشويون أو مطبوخون ، فيأمر صاحب الشرطة بأحراق الفاعل لذلك والأكل *

ورأيت صغيرا مشويا فى قفة ، وقد أحضر الى دار الوالى ومعه رجل وامرأة يزعم الناس أنهما أبواه فأمر بأحراقهما *

ووجد فى رمضان وبمصر رجل وقد جردت عظامه عن اللحم ، فأكل وبقى قفصا كما يفعل الطباخون بالغنم ، ومثل هذا أعوز جالينوس مشاهدته ولذلك تطلبه بكل حيلة ،

وكذلك كل من أثر الاطلاع على علم التشريح ، وحينما نثم الفقراء فى آكل بنى آدم كان الناس يتناقلون أخبارهم ويفيضون فى ذلك استفظاعا لأمره وتعجبا من ندوره . ثم اشتد قربهم اليه واعتيادهم عليه بحيث اتخذوه معيشة ومطية ومدخرا وتفننوا فيه . وفشا عنهم ووجد بكل مكان من ديار مصر : فسقط حينئذ التعجب والاستبشاع واستهجن الكلام فيه والسماع له .

ولقد رأيت امرأة يسحبها الرعاع فى السوق وقد ظفر معها بصغير مشوى تأكل منه ، وأهل السوق ذاهلون عنها ومقبلون على شئونهم وليس فيهم من يعجب لذلك أو ينكره : فعاد تعجيبى منهم اشد وما ذلك الا لكثرة تكرره على احساسهم حتى صار فى حكم المألوف الذى لا يستحق أن يتعجب منه .

ورأيت قبل ذلك بيومين صبيا نحو الرهاق مشويا وقد أخذ به شابان أقرا بقتله وشييه وأكل بعضه .

وفى بعض الليالى بعد صلاة المغرب كان مع جارية فطيم تلاعبه لبعض المياسير فيبينما هو الى جانبها ، اهتبلت غفلتها عنه صعلوكة فبقرت بطنه ، وجعلت تأكل منه نيا . وحكى لى عدة نساء أنه يتوثب عليهن لاقتناص أولادهن ويحامين عنهم بجهدهن .

ورأيت مع امرأة فطليما لحيفا فاستحسنته وأوصيتها بحفظه ، فحككت لى أنها بينا تمشى على الخليج انقض عليها رجل جاف ينازعها ولدها فترامت على الولد نحو الأرض حتى أدركها فارس وطرده عنها ، وزعمت أنه كان يهم بكل عضو يظهر منه أن يأكله وأن الولد بقى مدة مريضا لشدة تجاذبه بين المرأة والمفترس ، وتجد أطفال الفقراء وصبيا نهم ممن لم يبق له كفيل ولا حارس منبثين فى جميع أقطار البلاد وأزقة

الدروب كالجراد المنتشر ، ورجال الفقراء ونسأؤهم
يتصيدون هؤلاء الصغار ويتغذون بهم وانما يعثر عليهم في
الندرة واذا لم يحسنوا التحفظ .

وأكثر ما كان يطلع من ذلك مع النساء وما أظن العلة
فيه الا أن النساء أقل حيلة من الرجال وأضف عن التباعد
والاستتار . ولقد أحرق بمصر خاصة في أيام يسيرة ثلاثون
امراة كل منهن تقرر أنها أكلت جماعة ، فرأيت امراة قد
أحضرت الى الوالى وفى عنقها طفل شوى فضربت أكثر من
مائتى سوط على أن تقرر فلا تحير جوابا ، بل تجدها قد
انخلعت عن الطباع البشرية ثم سحبت فماتت .

واذا أحرق أكل أصبح وقد صار مأكولا لأنه يعود شواء
ويستغنى عن طبخه .

ثم فشا فيهم أكل بعضهم بعضا حتى فنى أكثرهم ،
ودخل فى ذلك جماعة من المياسير والمساتير منهم
من يفعله حاجة ومنهم من يفعله استطابة . وحكى لنا رجل
أنه كان له صديق أدقع فى هذه النازلة فدعاه صديقه هذا
الى منزله لياكل عنده على ما جرت به عادتهما قبل ، فلما
دخل منزله وجد عنده جماعة عليهم رثاثة الفقر وبين أيديهم
طبيخ كبير اللحم وليس معه خبز ؛ فرايه ذلك وطلب المرحاض
فصادف عنده خزانة مشحونة برمم الآدمى وباللحم الطرى
فارتاع وخرج فارا .

وظهر من هؤلاء الخبثاء من يصيد الناس بأصناف
الحبائل ويجتلبونهم الى مكانهم بأنواع المخاتل(١) ، وقد جرى
ذلك لثلاثة من الأطباء ممن ينتابنى ، أما أحدهم فان أباه

(١) الحيل والخداع .

خرج فلم يرجع، وأما الآخر فان امرأة أعطته درهمين على أن يصحبها الى مريضها فلما توغلت به مضايق الطرق استراب وامتنع عنها وشنع عليها فتركت درهميها ، وأما الثالث فان رجلا استصعبه الى مريضه فى الشارع بزعمه وجعل فى أثناء الطريق يصدف بالكسر ويقول اليوم يغتنم الثواب ويتضاعف الأجر ولئلا هذا فليعمل العاملون ، ثم كثر حتى ارتاب منه الطبيب ومع ذلك فحسن الظن بقلبه وقوة الطمع تجذبه ، حتى أدخله دارا خربة فزاد استشعاره وتوقف فى الدرج وسبق الرجل فاستفتح ، فخرج اليه رفيقه يقول له : هل مع ابائك حصل صيد ينفع ، فخرج الطبيب لما سمع ذلك ، وألقى نفسه الى اصطبل من طاقة صادفها السعادة فقام اليه صاحب الاصطبل يسأله عن قضيته فأخفاها عنه خوفا منه أيضا ، فقال : قد علمت حالك فان أهل هذا المنزل يذبون الناس بالحيل .

ووجد بأطفيح(٢) عند عطار عدة خوابى مملوءة بلحم الأدمى وعليه الماء والملح فسأله عن علة اتخاذه والاستكثار منه، فقال : خفت اذا دام الجذب أن يهزل الناس وكان جماعات من الفقراء قد آووا الى الجيزة وتستروا ببيوت طين ، يتصيدون فيها الناس وفطن لهم وطلب قتلهم فهربوا ، ووجد فى بيوتهم من عظام بنى آدم شئ كثير ، وخبرنى الثقة الذى وجد فى بيوتهم أربعمائة جمجمة .

ومما شاع وسمع من لفظ الوالى أن امرأة أتته سافرة مذعورة تذكر أنها قابلة ، وأن قوما استدعوها وقدموا لها صحنا فيه سكباج محكم الصنعة مكمل التوابل فألفته كثير اللحم ، مباينا اللحم المعهود فتقرزت منه ثم وجدت خلوة

(٢) من قرى مركز الصف بالجيزة . القاموس الجغرافى ، ق ٢ ، ج ٢ ، ص ٢٥ .

بينت صغيرة فسألته عن اللحم ، فقالت انها فلانة السمينة دخلت لتزورنا فذبحها أبي وما هي معلقة اربا ، فقامت القايلة الى الخزانة فوجدتها انا بپر لحم فلما قصت على الوالي القصة ارسل معها من هجم الدار واخذ من فيها وهرب صاحب المنزل ثم صانع عن نفسه في خفية بثلثمائة دينار ليحقق بذلك دمه .

ومن غريب ما حدث من ذلك ، أن امرأة ذات مال ويسار كانت حاملا وزوجها غائب في الخدمة وكان يجاورها صعاليك فشمت عندهم رائحة طبخ فطلبت منه كما هي عادة الحبالي فألفته لذيذا فاستزادتهم ، فزعموا أنه نفذ فسألتهم عن كيفية عمله فأسروا اليها أنه لحم بنى آدم فواطأتهم على أن يتصيدوا لها الصغار وتجزل لهم العطاء فلما تكرر ذلك منها فضريت وغلبت عليها الطباع السبعية وشى بها جواريتها خوفا منها ؛ فهجم عليها فوجد عندها من اللحم والعظام ما يشهد بصحة ذلك فحبست مقيدة وأرجىء قتلها احتراماً لزوجها وابقاء على الولد في جوفها .

ولو أخذنا نقص كل ما نرى ونسمع لوقعنا في التهمة أو في الهذر ، وجميع ما حكيناه مما شاهدناه لم نتقصده ولا تتبعنا مظانه وانما هو شيء صادفناه اتفاقا بل كثيرا ما كنت أفر من رؤيته لبشاعة منظره .

وأما من يتعين ذلك بدار الوالي فانه يجد منه أصنافا تحضر مع آناء الليل والنهار؛ وقد يوجد في قدر واحدة اثنان وثلاثة وأكثر ، ووجد بعض الأيام قدر فيها عشر أيد كما تطبخ أكارع الغنم ، ووجد مرة أخرى قدر كبيرة وفيها رأس كبير وبعض الأطراف مطبوخا بقمح وأصناف من هذا الجنس تفوت الاحصاء .

وكان عند جامع ابن طولون قوم يتخطفون الناس ووقع فى حبالتهم شبيخ كتبى بدين ممن يتبيعنا الكتب فأفلت بجريعة الدقن * وكذلك بعض قوام جامع مصر وقع فى حباله قوم آخرين بالقرافة فتداركه الناس فخلص من الوهق وله حصاص وأما من خرج من أهله فلم يرجع اليهم فخلق كثير ! وحكى لى من أثق به أنه اجتاز على امرأة تجرية (٣) وبين يديها ميت قد انتفخ وتفجر وهى تأكل من أفخاذه فأنكر عليها فزعمت أنه زوجها ، وكثير ما يدعى الأكل أن المأكول ولده أو زوجه أو نحو ذلك ، ورئى مع عجوز صغير تأكله فاعتذرت بأن قالت انما هو ولد ابنتى وليس بأجنبى منى ولأن آكله أنا خير من أن يأكله غيرى *

وأشبهه هذا كثير جدا حتى انك لا تجد أحدا فى ديار مصر الا وقد رأى شيئا من ذلك ، حتى أرباب الزوايا والنساء فى خدورهن *

ومما شاع أيضا نبش القبور واكل الموتى وبيع لحمهم * وهذه البلية التى شرحناها وجدت فى جميع بلاد مصر ليس فيها بلد الا وقد أكل فيه الناس أكلا ذريعا من أسوان وقوص والفيوم والمحلة والاسكندرية ودمياط وسائر النواحي *

وخبرنى بعض أصحابى وهو تاجر مأمون حين ورد من الاسكندرية بكثرة ما عاين بها من ذلك * وأعجب ما حكى لى أنه عاين رؤس خمسة صفار مطبوخة فى قدر واحدة بالتوابل الجيدة * وهذا المقدار من هذا الاقتصاص كاف فانى وان كنت قد أسهبت أعتقد أنى قد قصرت *

(٣) من قبائل تجرى Tigre الحبشية أى اصلها حبشى *

وأما القتل والفتك في النواحي فكثير فاش في كل فج ولا سيما طريق الفيوم والاسكندرية ، وقد كان بطريق الفيوم ناس في مراكب يرخصون الأجرة على الركاب فاذا توسطوا بهم الطرق ذبحوهم وتساهموا أسلابهم ، وظفر الوالى منهم بجماعة فمثل بهم ، وأقر بعضهم عندما أوجع ضربا أن الذى خصه دون رفقائه ستة آلاف دينار .

وأما موت الفقراء هزالا وجوعا ، فأمر لا يطيق عمله الا الله سبحانه وتعالى وانما نذكر منه كالأتمودج يستدل به اللبيب على فظاعة الأمر .

فالذى شاهدناه بمصر والقاهرة وما تاخم ذلك أن الماشى أين كان لا يزال يقع قدمه أو بصره على ميت ومن هو فى السياق أو على جمع كثير بهذا الحال ، وكان يرفع عن القاهرة خاصة الى الميضاة كل يوم ما بين مائة الى خمسمائة ، وأما مصر فليس لموتها عدد ويرمون ولا يوارون . ثم بأخرة عجز عن رميهم فبقوا فى الأسواق بين البيوت والدكاكين وفيها الميت منهم قد تقطع والى جانبه الشواء والحباز ونحوه .

وأما الضواحي والقرى، فانه هلك أهلها قاطبة الا ماشاء الله ، وبعضهم انجلى عنها اللهم الا الأمهات والقرى الكبار كقوص والأشمونين والمحلة ونحو ذلك ، ومع هذا أيضا فلم يبق فيها الا محلة القسم وان المسافر ليمر بالبلدة فلا يجد فيها نافخ ضرمة ويجد البيوت مفتحة وأهلها موتى متقابلين، بعضهم قد رم وبعضهم طرى وربما وجد فى البيت أثائه وليس له من يأخذه .

حدثنى بذلك غير واحد كل منهم حكى ما يعضد به قول الآخر ، قال أحدهم : دخلنا مدينة فلم نجد فيها حيوانا فى الأرض ولا طائرا فى السماء فتخللنا البيوت؛ فالفينا أهلها كما

قال الله عز وجل : «جعلناهم حصيدا خامدين» فتجد ساكني كل دار موتى فيها الرجل وزوجته وأولاده ، قال : ثم انتقلنا الى بلد آخر ذكر لنا أنه كان فيه أربعمائة دكان للحياكة فوجدناها كالتي قبلها في الخراب ، وان الحائك ميت وأهله موتى حوله ، فحضرني قوله تعالى : « ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون » قال : ثم انتقلنا الى بلد آخر فوجدناه كالذي قبله ليس به أنيس وهو مشجون بموت أهله ، قال : واحتجنا الى الاقامة به لأجل الزراعة فاستأجرنا من ينتقل الموتى مما حولنا الى النيل كل عشرة بدرهم ، قال ولكن قد بدلت البلاد بالذئاب والضباع ترفع لحوم أهلها *

ومن عجيب ما شاهدت أتى كنت يوما مشرفا على النيل مع جماعة فاجتاز علينا في نحو ساعة نحو عشرة موتى كأنهم القرب المنفوخة هذا من غير أن نتصدى لرؤيتهم ولا أحطنا بعرض البحر ، وفي غد ذلك اليوم ركبنا سفينة فرأينا أشلاء الموتى في الخليج وسائر الشطوط كما شبهها ابن حجر بأنابيش العنصل(٤) وخبرت عن عياد بفرضة تئيس أنه مر به في بعض نهار أربعمائة غريق يقذف بهم النيل الى البحر الملح ، وأما طريق الشام فقد تواترت الأخبار أنها صارت مزرعة لبني آدم بل محصرة ، وانه عادت مأدبة بلحومهم للطير والسباع وان طلابهم التي صحبتهم من منجلاهم هي التي تأكل فيهم *

وأول من هلك في هذه الطريق أهل الحرف عندما انتجموا الى الشام وانتشروا في هذه المسافة مع طولها

(٤) العنصل بفتح العين وضم الصاد أو فتحها البصل البرى والجمع عناصل

(ابن منظور) *

كالجراد المحسوس ، ولم تنزل تتواصل هلكاهم الى الآن وانتهى
انتجاعهم الى الموصل وبغداد وخراسان والى بلاد الروم
والمغرب واليمن ومزقوا كل ممزق .

وكثيرا ما كانت المرأة تملص من صبيتها في الزحام
فيتضورون حتى يموتوا .

وأما بيع الأحرار فشاع وذاع عند من لا يراقب الله ،
حتى تباع الجارية الحسناء بدراهم معدودة ، وعرض على
جاريتهان مراهقتان بدينار واحد ، ورأيت مرة أخرى جاريتهين
احدهما بكر ينادى عليهما بأحد عشر درهما .

وسألته امرأة أن اشترى ابنتها وكانت جميلة دون
البلوغ بخمسة دراهم فعرفت أنها أن ذلك حرام ، فقالت خذها
هدية وكثيرا ما يترامى النساء والولدان الذين فيهم صباحة
على الناس بأن يشتروهم أو يبيعوهم ، وقد استحل ذلك خلق
عظيم ووصل سبيهم الى العراق وأعماق خراسان وغير ذلك .

وأعجب من جميع ما اقتصصناه أن الناس مع ترادف هذه
الآيات عاكفون على أصنام شهواتهم لا يرعون منغمسون في
بحر ضلالتهم ، كأنهم هم المستثنون . فمن ذلك اتخاذهم بيع
الأحرار متجرا ومكتسبا ومنه عهارهم بهؤلاء النسوة حتى ان
منهم من يزعم أنه افتض خمسين بكرا ومنهم من يقول سبعين
كل ذلك بالكسر (٥) .

وأما خراب البلاد والقري وخلو المساكن والدكاكين
فهو مما يلزم هذه الجملة التي اقتصصناها وناهيك أن
القرية التي كانت تشتمل على زهاء عشرة آلاف نسمة تمر

(٥) أى بمبلغ يسير أى كسر الدرهم أو الدينار .

عليها فتراها دمنة وربما وجد فيها وربما لم يوجد، وأما مصر فخلا معظمها وأما بيوت الخليج وزقاق البركة وحلب والمقس وما تأخم ذلك فلم يبق فيها بيت مسكون أصلا بعد ما كان كل قطر منها قدر مدينة زحمة من الناس، حتى ان الرباع والمساكن والدكاكين التى فى سرة القاهرة وخيارها أكثرها حال خراب وان ربما فى أعمار موضع بالقاهرة فيه نيف وخمسون بيتا كلها خالية سوى أربعة بيوت أسكنت من يحرس الموضع .

ولم يبق لأهل المدينة وقود فى تنانيرهم وأفرانهم وبيوتهم الا خشب السقوف والأبواب والزراب (٦) .

ومما يقضى منه العجب أن جماعة من الذين مازالوا مجدودين سعدوا فى دنياهم هذه السنة فمنهم من أثرى بسبب متجره فى القمح ، ومنهم من أثرى بسبب مال انتقل اليه بالارث ، ومنهم من حسنت حاله لا بسبب معروف . فتبارك من بيده القبض والبسط ولكل مخلوق من عنايته قسط .

وأما خبر النيل فى هذه السنة ، فإنه احترق فى برمودة احترقا كثيرا وصار المقياس فى أرض جزر وانحسر الماء عنه نحو الجزيرة ، وظهر فى وسطه جزيرة عظيمة طويلة ومقطعات أبنية وتغير الماء فى ريحه وطعمه ثم تزايد التغير ثم انكشف أمره عن خضرة طحلبية كلما تطاولت الأيام ظهرت وكثرت كالتى ظهرت فى أبيب السنة الخالية ، ولم تزل الخضرة تتزايد الى آخر شعبان ثم تناقصت الى أن ذهبت وبقى فى الماء أخيرا نباتية منبثة فقط وطاب طعمه وريحه ثم أخذت فى رمضان

(٦) جمع زريبة وهى مكان الماشية والدواب .

تنمى وتقوى جريته الى اليوم السادس عشر منه ، فقاى فيه ابن أبى الرداد قاع البركة فكان ذراعين وأخذ فى زيادة ضعيفة بأضعف من السنة الخالية ولم يزل فى زيادة ضعيفة الى ثامن ذى القعدة وهو السابع عشر من مسرى فزاد اصبعا ثم وقف ثلاثة أيام ؛ فأيقن الناس بالبلاء واستسلموا للهلكة ثم أخذ فى زيادات قوية أكثرها ذراع الى ثالث ذى الحجة وهو السادس من توت فبلغ خمس عشرة ذراعا وست عشرة اصبعا ثم انحط من يومه وانهمزم على فوره ، ومس بعض البلاد محلة القسم فكانما زارها طيف خياله فى الحلم .

وانما انتفع به ما كان من البلاد مطمئنا فأروى المنخفضات كالغربية ونحوها ، غير أن القرى خالية من فلاح أو حراث أصلا فهم كما قال الله تعالى : « فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم » ، وانما أرباب الحراث يجمعون شذاهم ويلتقطون أفرادهم ، وقد عز الحراث والبقر جدا حتى يباع الثور الواحد بسبعين دينارا والهزيل بدون ذلك وكثير من البلاد ينحسر عنه الماء بغير حقه ولغير وقته ؛ اذ ليس لها من يمسك الماء ويحبسه فيها فتبور لذلك مع ربيها وكثير مما روى يبور لعجز أهله عن تقاويه والقيام عليه ، وكثير مما زرع أكلته الدودة وكثير مما سلم منها ضوى وعطب .

ونهاية سعر القمح فى هذه السنة خمسة دنانير ، وأما بقوص والاسكندرية فبلغ ستة دنانير .

ومن الله سبحانه يرجي الفرج وهو المتيح للخير بمنه

وجوده .

الفصل الثالث

فى حوادث سنة ثمان وتسعين وخمسمائة

ودخلت هذه السنة والأحوال التى شرحناها فى السنة الخالية على ذلك النظام أو فى تزايد ، الى زهاء نصفها فتناقص موت الفقراء لقلتهم لا لارتفاع السبب الموجب وتناقص أكل بنى آدم ثم انقطع خبره أصلا .

وقل خطف الأطمعة من الأسواق وذلك لفناء الصعاليك (١) وقتلهم من المدينة ، وانحطت الأسعار حتى عاد الورد بثلاثة دنانير لقلة الآكلين لا لكثرة المأكول ، وصفت المدينة بأهلها ، واختصرت واختصر جميع ما فيها على تلك النسبة وآلف الناس البلاء واستمروا على البلاء حتى عاد ذلك كأنه مزاج طبيعى .

وحكى لى أنه كان بمصر تسعمائة منسج للحصر ، فلم يبق الا خمسة عشر منسجا ، وقس على هذا سائر ما جرت العادة أن يكون بالمدينة من باعة وخبازين وعطارين وأساكفة وخياطين وغير ذلك من الأصناف ، فانه لم يبق من كل صنف من هؤلاء الا نحو ما بقى من الحصريين أو أقل من ذلك .

(١) المقصود اهل البلاد وليس المماليك . راجع مقدمة المحقق .

وأما الدجاج فقدم رأسا لولا أنه جلب منه شيء من الشام ، وحكى لي أن رجلا مصريا شارف الشقر فألهم أن اشترى من الشام دجاجا بستين دينارا ، وباعها بالقاهرة على القمطين بنحو ثمانمائة دينار ، ولما وجد البيض يبيع بيضة بدرهم ثم بيضتين ثم ثلاثا ثم أربعا واستمر على ذلك ، وأما الفراريج فبيع الفروج بمائة درهم ولبث برهة يباع الفروج بدينار فصاعدا .

وأما الأفران فانها توقد بأخشاب الدور ، فيشتري الفران الدار بالثمن البنخس ويقد زروبه وأخشابه أياما ثم يشتري آخر ، وربما كان فيهم من تنشطه نذالته فيخرج ليلا يجوس خلال الديار فيحتطبها ولا يجد ذاعرا .

وكثيرا ما تقفر الدار بمالكها ولا يجد لها مشتريا فيفصل أخشابها وأبوابها وسائر آلاتها فيبييعها ثم يطرحها مهدومة وكذلك أيضا يفعلون بدور الكسرا .

وأما الهلالية ومعظم الشارع ودور الخليج وحارة السياسة والمقس وما تاخم ذلك فلم يبق فيها أنيس ، وانما ترى مساكنهم خاوية على عروشها وكثيرا من أهلها موتى فيها . ومع ذلك فالقاهرة بالقياس الى مصر فى غاية العمارة وأهلها فى غاية الكثرة .

وأما الضواحي وسائر البلاد فيباب رأسا ، حتى ان المسافرين يسير فى كل جهة أياما لا يصادف حيوانا الا الرمم ما خلا البلاد الكبار كقوص وأخميم والمحلة ودمياط والاسكندرية ، فان فيها بقايا وأما ما عدا هذه وأمثالها فان البلد الذى كان يحتوى على ألوف خال أو كالحالى .

وأما الأملاك ذوات الأجر المعتبرة ، فان معظمها خلا أو لم يبق دأب أهلها الا حراستها بسد أبوابها وتحصين مسالكها

أو اسكانها من يحرسها بأجرة ، اللهم الا ما كان من الملك فى قسبة المدينة فان بعضه مسكون بأخف أجرة ، وأعرف ربعاً فى أعمر موضع بالمدينة كانت أجرته فى الشهر مائة وخمسين دينارا ، فعادت فى هذه السنة الى نحو عشرين دينارا ، وآخر فى مثل موضعه كانت أجرته فى الشهر ستة عشر دينارا ، فعادت الى فويق الدينار ، وجميع ما لم نذكره على هذا القياس افهمه .

والذى دخل تحت الاحصاء من الموتى ممن كف وجرى له اسم فى الديوان وضمته الميضات فى مدة اثنين وعشرين شهرا أولها شوال من سنة ست وتسعين ، وآخرها رجب من سنة ثمان وتسعين ، مائة ألف وحدى عشرة ألفا الا أحادا وهذا مع كثرته نزر فى جنب الذين هلكوا فى دارهم وفى أطراف المدينة وأصول الحيطان ، وجميع ذلك نزر فى جنب من هلك بمصر وما تاخمها ، وجميع ذلك نزر فى جنب من اكل فى البلدين ، وجميع ذلك نزر جدا فى جنب من هلك وأكل فى سائر البلاد والنواحي والطرق وخاصة طريق الشام ، فانه لم يرد أحد من ناحية فسألته عن الطرق الا نكر أنها مزروعة بالأشلاء والرسم وهكذا ما سلكته منها .

ثم انه وقع بالفيوم والغربية ودمياط والاسكندرية موتان عظيم ووباء شديد لا سيما عند وقت الزراعة ، فلعله يموت على المحراث الواحد عدة فلاحين ، وحكى لنا أن الذين بذروا غير الذين حرثوا وكذلك الذين حصدوا .

وباشرنا زراعة لبعض الرؤساء فأرسل من يقوم بأمر الزراعة فجاء الخبر بموتهم أجمعين ، فأرسل عوضهم فمات أكثرهم ، هكذا مرات فى عدة جهات وسمعنا من الثقات عن الاسكندرية أن الامام صلى يوم الجمعة على سبعمائة جنازة ،

وان تركة واحدة انتقلت في مدة شهر الى أربعة عشر وارثا ،
وان طائفة كبيرة من أهلها تزيد على عشرين ألفا انتقلوا الى
برقة وأعمالها فعمروها وقطنوها ، وهذه برقة كانت مملكة
عظيمة وخربت في زمن اليازوري (٢) وعلى يديه ، وكان
وزيرا ظلما ، فجلا عنها أهلها وسكن كثير منهم بالاسكندرية ،
وكان هذا الحادث تقاص في الطبيعة *

ومن عجيب ما اتفق لشيخ من أطباء يهود مصر ممن
ينتابني سوى من سبق ذكرهم أن استدعاه رجل زبونه ذو
شارة وشهرة بستر ودين وجدة ، فلما حصل في المنزل أغلق
الباب ووثب عليه فجعل في عنقه وهقا ومرت المريض خصيته
غير أنه لم تكن له معرفة بالقتل فطالت المناوشة وعلا ضجيجه
فتسامع الناس ودخلوا ، فخلصوا الشيخ وبه رمق يسير
وقد كسرت ثنيتاه وحمل الى منزله مغشيا عليه وأحضروا
الفاعل الى الوالى فسأله ما حملك على ما فعلت ، فقال :
الجوع فضربه ونفاه *

واتفق سحرة يوم الاثنين السادس والعشرين
من شعبان وهو الخامس والعشرون من بشنس ان حدثت
زلزلة عظيمة اضطرب لها الناس ، فهبوا من مضاجعهم
مدهوشين وضجوا الى الله سبحانه ولبثت مدة طويلة وكانت
حركتها كالغريبة أو كخفق جناح الطائر وانقضت على ثلاث
رجفات قوية مادت بها الأبنية واصططقت الأبواب وصرصرت
السقوف والأخشاب وتداعى من الأبنية ما كان واهيا أو

(٢) الحسن بن على بن عبد الرحمن . أبو محمد اليازوري وزير من الدهاة ولى في
مازور (من قرى الرملة بفلسطين) سكن الرملة وولى الحكم بها واتصل بالمستنصر
الفاطمي فاستوزره سنة ٤٤٢ هـ وجعله قاضى القضاة ، وهو الذى دبر فتنة البساسيري
وأثاره على العباسيين واستمر في الوزارة الى أن قبض عليه المستنصر بسبب وشاية
وقتل سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م . الإعلام للزركلي ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ .

مشرفا عاليا ثم عاودت فى نصف نهار يوم الاثنين ، الا أنها لم يحس بها أكثر الناس لحفائها وقصر زمانها وكان فى هذه الليلة برد شديد يحوج الى دثار خلاف العادة ، وفى نهار ذلك اليوم تبدل بحر شديد وسموم مفرط يضيق الأنفاس ويأخذ بالكظم وقلما تحدث زلزلة بمصر بهذه القوة .

ثم أخذت الأخبار تتواتر بحدوث الزلزلة فى النواحي النائية والبلاد النازحة فى تلك الساعة بعينها ؛ ولذا صح عندى انها حركت فى ساعة واحدة طابقة من قوص الى دمياط والاسكندرية ثم بلاد الساحل بأسرها والشام طولاً وعرضاً وتعفت بلاد كثيرة بحيث لم يبق لها أثر وهلك من الناس خلق عظيم وأمم لا تحصى ، ولا أعرف فى الشام بلدا أحسن سلامة من القدس فانها لم تنك فيه الا ما لا بال ، كانت نكايه الزلزلة ببلاد الافرنج أكثر منها فى بلاد الاسلام كثيرا .

وسمعنا ان الزلزلة وصلت الى اخلاط وتخومها الى جزيرة قبرص ، وأن البحر ارتطم وتموج وتشوهت مناظره فانفبرق فى مواضع وصارت فرقه كالأطواد وعادت المراكب على الأرض وقذف سمكا كثيرا على ساحله .

ووردت كتب من الشام ودمشق وحماه تتضمن خبر الزلزلة . ومما اتصل لى من ذلك كتابان أوردهما بلفظهما .

نسخة الكتاب الوارد من حماه

ولما كان سحرة يوم الاثنين السادس والعشرين من شعبان حدثت زلزلة ، وكادت الأرض تسير سيرا والجبال تمور مورا وما ظن أحد من الخلق الا أنها زلزلة الساعة وأتت دفعتين فى ذلك الوقت ، أما الدفعة الأولى فاستمرت بمقدار ساعة أو تزيد

(*) بضم الناء وتسكين النون .

عليها ، وأما الثانية فكانت دونها ولكن أشد منها وتأثر منها بعض القلاع فأولها فلقه حماه مع اتقانها وعمارتها وبارين مع اكتنازها ولطافتها وبعلمك مع قوتها ووثقاتها ولم يرد عن البلاد الشاسعة والقلاع النازحة الى الآن ما أذكره .

ثم حدث في يوم الثلاثاء السابع والعشرين منه عند صلاة الظهر زلزلة استوى في علمها اليقظان والنائم ، وتزعزع لها القاعد والقائم ، ثم حدثت في هذا اليوم أيضا وقت صلاة العصر وصل الخبر من دمشق بأن الزلزلة أفسدت فيها منارة الجامع الشرقية وأكثر الطوسة والبيمارستان جميعه وعدة مساكن تساقطت على أهلها وهلكوا .

نسخة الكتاب الوارد من دمشق

المملوك ينهى حدوث زلزلة ليلة الاثنين سادس وعشرين شعبان وقت انفجار الفجر وأقامت مدة . قال بعض الأصحاب : انها مقدار ما قرأ سورة الكهف ، وذكر بعض المشايخ بدمشق أنه لم يشاهد مثلها فيما تقدم . ومما أثرت في البلد سقوط ست عشرة شرفة من الجامع واحدى المآذن وتشقق أخرى وفيه الصاحى يعنى النسر وانخساف الكلاسة ومات فيها رجلان ورجل آخر على باب جيرون وتشقق بالجامع مواضع كثيرة وسقط بالبلد عدة دور .

وذكر عن بلاد المسلمين أن بانياس سقط بعضها وصفد كذلك ولم يبق بها الا من هلك سوى ولد صاحبها وكذلك تبنين ونابلس لم يبق لها جدار قائم سوى حارة السمره ويذكر أن القدر سالم والحمد لله .

وأما بيت جن فلم يبق منه الا الأساس والجدران وقد أتى عليها الخسف ، وكذلك أكثر بلاد حوران غارت لا يعرف لبلد منها موضع يقال فيه هذه القرية الفلانية . ويقال ان عكله سقط اكثرها وصدر ثلثها وغرفة خسف بها وكذلك صافينا .

وأما جبل لبنان فهو موضع يدخل الناس اليه بين جبلين يجمع منه الريباس الأخضر ، فيقال ان الجبلين انطبعا على من بينهما وكانت عدتهم تناهز مائتي رجل وقد أكثر الناس في حديثها .

وأقامت بعد ذلك أربعة أيام تحدث في النهار والليل .

ونسأل الله لطفه وتدييره وهو حسينا ونعم الوكيل .

ومن عجيب ما شاهدنا أن جماعة ممن ينتابني في الطب وصلوا الى كتاب التشريح فكان يعسر أفهامهم وفهمهم لقصور القول عن العيان فأخذنا أن بالمقس تلاقية رمم كثيرة فخرجنا اليه فرأينا تلا من رمم له مسافة طويلة ، يكاد يكون ترابه أقل من الموتى به نحس ما يظهر منهم للعيان بعشرين ألفا فصاعدا وهم على طبقات في قرب العهد وبعده .

فشاهدنا من شكل العظام ومفاصلها وكيفية اتصالها وتناسبها وأوضاعها ما أفادنا علما لا نستفيده من الكتب . اما انها سكنت عنها أو لا يفي لفظها بالدلالة عليه أو يكون ما شاهدناه مخالفا لما قيل فيها والحس أقوى دليلا من السمع ، فان جالينوس وان كان في الدرجة العليا من التحرى والتحفظ فيما يباشره ويحكىه ، فان الحس أصدق منه .

ثم بعد ذلك يتخيل لقوله مخرج ان أمكن فمن ذلك عظم الفك الأسفل ، فان الكل قد أطبقوا على أنه عظامان بمفصل

وثيق عن الحنك وقولنا الكل انما نعنى به ها هنا جالينوس وحده فإنه هو الذى باشر التشريح بنفسه وجعله دأبه ونصب عليه وصنف فيه عدة كتب معظمها موجود لدينا والباقي لم يخرج الى لسان العرب *

والذى شاهدناه من حال هذا العضو أنه عظم واحد وليس فيه مفصل ولا درز اصلا ، واعتبرناه ما شاء الله من المرات فى أشخاص كثيرة تزيد على الفى جمجمة بأصناف من الاعتبارات فلم نجده الا عظما واحدا من كل وجه ، ثم اننا استعنا بجماعة مفترقة اعتبروه بحضرتنا وفى غيبتنا ، فلم يزيدوا على ما شاهدوه منه وحكيناه وكذلك فى أشياء أخرى غير هذه وليت مكنننا المقادير بالمساعدة ووضعنا مقالة فى ذلك تحكى فى ما شاهدناه وما علمنا من كتب جالينوس * ثم انى اعتبرت هذا العظم أيضا بمدافن بوصير القديمة المقدم ذكرها ، فوجدته على ما حكيت ليس فيه مفصل ولا درز ومن شأن الدروز الخفية والمفاصل الوثيقة اذا تقادم عليها الزمان أن تظهر وتتفرق وهذا الفك الأسفل لا يوجد فى جميع أحواله الا قطعة واحدة *

وأما العجز مع العجب ذكر جالينوس أنه مؤلف من ستة أعظم ووجدته أنا عظما واحدا واعتبرته بكل وجه من الاعتبار فوجدته عظما واحدا ، ثم انى اعتبرته فى جثة أخرى فوجدته ستة أعظم كما قال جالينوس وكذلك وجدته فى سائر الجثث على ما قال الا فى جثتين فقط فانى وجدته فيهما عظما واحدا وهو فى الجميع موثق المفاصل ولست واثقا بذلك كما أنا واثق باتحاد عظم الفك الأسفل *

ثم اننا دخلنا مصر فرأينا منها دروبا وأسواقا عظيمة كانت مغتصة بالزحام ، والجميع خال ليس فيه حيوان الا عاير

سبيل فى بعض الأحياء ، وان المار فيها ليستوحش ومع ذلك ،
فقلما يندفك قطر منها عن جثة وعظام متفرقة حتى خرجنا
الى موضع يسمى اسكرجة فرعون ، فرأينا الأقطار كلها
مفتصة بالجثث والرعم وغلبت على الآكام بحيث جلمتها
وكادت تغلب على نرابها ورأينا فى هذه الأسكرجة وهى
وهدة عظيمة حينما أشرفنا عليها الجماجم بيضا وسودا ،
ووجدنا بعضها على بعض طبقات وقد أخفى كثرتها
وتراكمها سائر العظام حتى كأنها رءوس لم يكن معها أبدان
يشبهها من ينظرها ببطين قد قطع وجمع حتى صار كالبيدر ،
ثم رأيتها بعد أيام وقد عرقتها الشمس وابيضت فشبتهها
ببيض النعام المتراكم .

ولما رأيت خلو تلك الحارات والأسواق من الناس وامتلاء
تلك الصحارى والآكام ، خيل الى أنه سفر ارتحل فأخلى مكانا
وشغل آخر هذا ، مع أنه اية جهة نحاها القاصد صادف فيها
ما خكيننا وأضعافه .

ووجد فى ذى الحجة بمصر امرأة ذبحت صبيا لتأكله
فأخذت وغرقت وقد ارتفعت هذه الحال وانقطع خبرها
ومشاهدتها لم يوجد سوى هذه المرأة . ومن عجيب الكائنات
فى هذه المدة أن مولودا فى سبع وتسعين ولد براسين وولد
مولود آخر أبيض الشعر ورأيته وليس هو كبياض الشيب ،
بل يحيل الى صهوية ما . ولدت فى هذه السنة بغلة ولدت ميتا
وبقى فى دار الوالى أياما كثيرة ، وفى سنة ثمان وتسعين
وجدت سنخلة ذات لبن كان يخرج من حلمتها كأنه خيط
دقيق وأحضرت بدار الوالى مرات وآخر ما أحضرت وعمرها
أربعة أشهر .

وأما خبر النيل في هذه السنة فنحن نسوقه باختصار
أما أولا ، فانه احترق في طوبة ثم تزايد احتراقه حتى صار
مخاضات للناس والدواب وظهرت الحفرة فيه في جمادى
الآخرة الكائن في برمهات وتزايدت جدا في رجب حتى
ظهرت في طعمه ولونه وريحه ثم تناقصت حتى ذهبت أصلا
وانتهى احتراقه في رمضان ، وانحسر عن المقياس نحو
ثمانمائة ذراع ، وأطالع أبى الرداد باستقرار الماء يوم
الثلاثاء لخمس بقين من بؤونة وأربع بقين من رمضان من
سنة ثمان وتسعين فكان القاع ذراعا ونصفا وكان في السنة
الخالية ذراعين ، وابتدأ في الزيادة في السنة الخالية من
هذا اليوم ، فأما في هذه السنة فان زيادته تأخرت الى
الخامس والعشرين من أبيب لم يزد في هذه المدة سوى
أصابع ، حتى ساءت ظنون الناس وشملهم اليأس وظنوا أن
حادثا وقع بفوهته وعند مبدا جريته ، ثم أخذ في الزيادة
حتى انسلخ أبيب وهو على ثلاث أذرع ووقف يومين ؛ فاشتد
هلع الناس لخروجه في التوقف عن المعتاد ، ثم انه اندفع
بقوة وزيادات متداركة وجبال من المياه متدافعة ؛ فزاد
ثمانى أذرع في مدة عشرة أيام منها ثلاث أذرع متواليه ،
وانتهى في رابع توت وهو الثانى عشر من ذى الحجة الى
ست عشرة ذراعا تنقص اصبعًا وقام يومين ، ثم أخذ ينحط
متباطئا وينصرف رويدا - فهذا ما قصدت اقتصاصه من
أحواله هذه الكائنة فليكن آخر المقالة ومنتهى الكتاب *

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد المرسلين محمد
النبي الأمى وعلى آله الطيبين الطاهرين *

كتبه مؤلفه الفقير الى الله تعالى عبد اللطيف بن يوسف
ابن محمد البغدادي في رمضان سنة ستمائة بالقاهرة *

الكشاف

- (١)
- الإبار : ١١٤
 إبراهيم (عليه السلام) : ٩٤
 ابن اسحق ، حنين : ٢١
 ابن بابشاذ : ٣٩
 ابن برهان : ٣٧
 ابن بطوطة : ٢٩
 ابن البعنى : ٣٥
 ابن البيطار : ٢١ ، ٢٢
 ابن جبير : ٢٨
 ابن جليل : ٢١
 ابن حمزة ، عمر : ٣٧
 ابن سكينه : ٣٩
 ابن سحجون : ٦٧
 ابن سلام : ٤٠
 ابن سناء الملك : ٤٢
 ابن سيرامون : ٢١
 ابن سينا : ٣٩
 ابن فضلان : ٢٩ ، ٣٠
 ابن فتيبة ، غريب : ٤٠
 الأبنوس : ٧٧
 ابن يونس : ٤٠
 أبو الناسم الشارعى : ٤٣
 أبو الهول : ٩٦
 ابنك شهاب الدين : ٤٦
 أترج : ٧٤ ، ٧٥
 الأناط : ٦٣
 الأحاجى : ٦٢ ، ٧٩
 الأجنك : ١٩
 ادريس (النبى عليه السلام) : ٩٣
 ارزتجان : ٤٦
 ارسطو : ٦٣ ، ١٠٤ ، ١١٢
- الأسرائيلى : ٦٩
 الاسفنتور : ٨٥
 أسكرجه فرعون : ١٥١
 الاسكندر : ١٠٠ ، ١١٢
 الاسكندرية : ٢٨ ، ٥٦ ، ٨٨ ، ٩٧ ، ٩٨ ،
 ١١٢ ، ١٣٧ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧
 اسنا : ٥٥
 الاسهال : ٦٩
 اشعب : ٧٣
 الاصبغ : ١١٥ ، ١١٦
 الأسمعى : ٧٣
 أطهيج : ١٣٥
 أفاذيمون : ١٢
 الأوروديسى : ١١٢
 أفريقيا : ٢٠
 الافغان : ٢٩
 الايون : ٧٦
 الاماقيبا : ٧٧
 أقباط
 انظر
 قبط
 الأقربانين : ٢٠
 اكل لحوم البشر : ٢٠
 الأملح : ٢٧
 الأنبارى ، كمال الدين عبد الرحمن : ٣٦
 الأندلس ، ابن سعيد : ٢٩
 الانطاكى ، داود : ٢٢
 الأنعاظ : ٨٥
 اهرام : ١١ ، ١٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٢ ،
 ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٨ ، ١١٢

(ب)

- اليهيق : ٢٧
 يوصيد : ٨٦ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١٥٠
 اليوفاة : ١٢٣
 يولس : ١٧
 بيت جن : ١٤٩
 بيتس ، جوزيف : ٢٣
- (ت)
 المتبريزي ، الخطيب : ٣٨
 تبنين : ١٤٨
 التجرايين (التجريين) : ١٩
 الترسنة : ٨٨
 الترفيد : ٨٠
 الترمس : ٧٧
 التفاح : ٧٥ ، ٧٧
 التلويع : ٨٢
 التماسيح : ٢٧ ، ٨٤
 التمر : ٧٥
 تمساح برى : ٨٥
 تهامة : ٦٧
 الثوراه : ١٧ ، ١١٢
 التيفاش : ٢٧
 الثنين : ٦٥
- (ث)
 ثعبان الماء : ٨٨
 الثوم : ٦٨
- (ج)
 جامع ابن طولون : ١٣٧
 جالينوس ، كتاب : ٢١ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ١٠٥ ،
 ١١٠ ، ١١٢ ، ١٤٩ ، ١٥٠
 الجاموس : ٨٦
 جبل القمر : ٥٦
 جبل لبنان : ١٤٩
 جدة : ٢٨
- الباعة : ٧٠
 يابل : ١١٢
 يارين : ١٤٨
 الباقال : ٧٨
 البانكلاء : ٦٩
 الباقلى : ٦٩
 البامية : ٦٠
 بانثياس : ١٤٨
 بحران : ٩٤
 بخارى : ٢٩
 بختنصر : ١٠٠
 البددة : ٩٤
 البيردى : ١٣٠
 برفة : ١٤٦
 البنسام : ٦٧
 بصل : ٢٥ ، ٦٨ ، ٧٠
 بطليموس : ١٣٠
 البطيخ : ٧٤ ، ٧٨ ، ١٥٦
 البطيخ الرقى : ٧٨
 البطيخ الرتشى : ٧٨
 البطيخ العبدلى : ٧٧ ، ٧٨
 البطيخ الغرى : ٧٨
 بعلبك : ١٤٨
 البغال : ٢٤ ، ٨٤ ، ٨٦
 بغداد : ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٨ ، ١٤٠
 البغدادي ، عبد اللطيف : ٢٢ ، ٣٠ ، ٣٥ ،
 ٣٨ ، ٤٨
 البقر : ٨٣ ، ٨٦
 بقراط : ١١٢
 بلاد نعمن : ١٩
 الملح : ٦٢ ، ٧٢
 البلسان : ٦٥ ، ٦٦
 البندقية : ١١٩
 البنفسج : ٧٩
 بنو العباس : ١١٢

الخس : ١١٨
 الخشخاش : ٧٦ ، ١١٩
 الخشخشية : ١١٩
 الخشكمان : ١٢٠
 حط الاستواء : ٥٦
 الخطمي . ٦١
 الخنزير : ٨٦
 خوارزم . ٢٩
 خرخ : ٧٩
 الخيار ٦٧ ، ٧٧
 خيار سننبر ٧٩
 الحيل ٨٤

(د)

الدار صيني : ٢٧
 الدياء : ٧٨
 الدجاج : ٨٨
 الدخن : ٧٦
 درب القالونج : ٣٦
 الدلب : ٦٣ ، ٧٩
 الدلفين : ٨٤
 الدالينس : ١٢٢
 دمشق : ١١ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٨ ،
 ٦٨ ، ٧٠ ، ٩٤
 دموة : ٩٩
 دمياط : ٥٦ ، ٥٨ ، ٧٨ ، ٨٦ ، ١٢٣ ،
 ١٤٥ ، ١٤٧
 دميرة : ٧٨
 الدند : ٦٢
 دثيق : ٥٩
 الدولة الطولونية : ١٠
 الدولة العاطمية : ١٠
 الديس : ١٣٠
 الدينوري ، أبو حنيفة : ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ،
 ٧٣ ، ٧٧
 ديوسقوريدس : ٦٩ ، ٨٥

جراجوس : ٥٩
 جرجير : ٨٦
 الحزام : ٢٧
 الجزر : ١١٩
 الجلا : ١٩
 الجلاب : ١١٩
 جلال مظهر ، ٣١
 جله : ٨١
 الجمل : ٨٦
 الجمين : ٦٤ ، ٦٥ ، ١١٤
 الجوز : ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٧
 الجيزة : ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٩ ، ١٣٥ ، ١٤١

(ح)

حارة الساسة : ١٤٤
 حارة السحرة : ١٤٨
 الحبشة : ١٠٩
 الحجاز : ١٣٠
 الحديث : ٣٥
 الحراجية : ٥٩
 الحرثون : ٨٥
 الحصرم : ١٢١
 حلب : ٤٦ ، ٤٧ ، ١٤١
 الحمار : ٢٤
 الحماط : ٦٣
 حماة : ١٤٨
 الحمير : ٨٣
 حوران : ١٤٩

(خ)

الخبازي البسناني : ٦١
 الخبز : ١٢٢
 حبيص : ٧٢ ، ١١٨ ، ١١٩
 خراسان : ٣٦ ، ١٤٠
 الخردل : ٧٢
 الخروب : ٧٩
 خروب القرط . ٧٧

- (د)
 السمحاق : ١٢٣
 السماقيه : ٦٨
 سماني الغيط : ١٢٣
 السمرة : ١١
 السناذير : ١١١
 السنويوسك : ١٢١
 السنذاب : ٦٥
 السنط : ٧٦ ، ٧٧
 السودان : ٥٧ ، ٦١
 السويقي : ٦٩ ، ٨٦
 سيبوية : ٣٨
 السبيرج : ١٢٠
- (ش)
 الشمام : ٢٨ ، ٣٦ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٧٥ ،
 ٧٦ ، ٧٩ ، ١٣٠ ، ١٤٤ ، ١٤٧
 الشدة المستنصرية : ١٠
 شرق أفريقيا : ٢٩
 الشعراوى : ٥٩
 الشعري : ٦٧
 الشلق : ٧٨
 سنهور : ٥٩
 الشهرستانى : ١٢ ، ١٦
 الشوشندييا : ٦١
 الشوكة المصرية : ٧٦
- (هـ)
 الصايون : ١١٨
 الصابئة : ١٢ ، ١٦ ، ١١٢
 الصبا : ٥٨
 الصبر : ١٢٢
 الصحناء : ١٢٢
 الصعيد ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٨٥
 صقلية : ٢٨
 صلاح الدين ، يوسف بن يونس : ٤١ ،
- الذرة : ٧٦
 الرتيلاء : ٦٤
 رجلة : ١١٩
 الرعاد : ٨٧
 رغيف الصينية : ١١٩
 رمان : ٧٩
 الروم : ١١٢ ، ١٤٠
- (ز)
 الزيل : ٨٢
 الزعفران : ٦٩
 زقاق البركة : ١٤١
 الزئبق : ٧٨
 الزنجبيل : ٢٢ ، ٧٠ ، ١١٩ ، ١٢٠
 الزنجبيلية : ١١٩
 الزهراوى ، خلف بن عباس : ٢١
- (س)
 ساسى : ٨٠
 السامرة : ١١
 السبحق : ٦٩
 ست المنوية : ١١٩
 ستيفن ، كتاب : ٢١
 صحیح المعاد : ٦٨
 سحليه : ١١٢
 السدر : ٧٩
 السدرية : ٦٢
 السرب : ٨٨
 السرايئس : ٨٨
 السفرجل : ٧٩
 السلجم : ٦٧ ، ١١٨
 سلحفاة : ٨٨
 السممار : ٧٤

عمرو بن العاص : ٩٨
عمود السوارى : ٩٧ ، ٩٨
العهد القديم : ١٧
العود : ١١٩
عذاب : ٢٨
عين شمس : ٩٦

(غ)

الغريبة : ١٤٥
غرناطة : ٢٨

(ف)

الفسار : ١٢٣
فارتيميا : ٢٠
فارس : ٢٩ ، ٦٣
الفارسي ، ناصري خسرو : ٢٨
الفجل : ١١٨
فاراريج : ٨٠ ، ١٤٤
الفرس : ١١٢
فارس البحر : ٨٦
الفرنج : ٤٣
الفسنق : ٧١ ، ١١٩ ، ١٢٠
الفسنقية : ١١٩
الفسطاط : ٥٥ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٩٠ ، ١١٢
الفنوص ، فناء : ٧٧ ، ٧٨
فلج أرسلان : ٤٦
الفلسفة : ٤١
الفلقل : ١٢٠
القول : ٧٨
الفولجا : ٢٩
الفيوم : ١٣٨ ، ١٤٥

(ق)

القار : ١١٠
القاضي الفاضل : ٤١ ، ٤٢
القاهرة : ٨٧ ، ٩٠ ، ١٣٠ ، ١٣٨ ، ١٤١
القيّد : ٧٧

٤٤ ، ٨٩ ، ٩٤ ، ٩٨
الصيدلة : ٢٠
الصين : ٢٩

(ط)

الطبيب
الطلمسات : ٣٩
طنجة : ٢٩
طوخ : ٥٩
الطوسه : ١٤٨

(ظ)

الظاهري ، ابن حزم : ١٢

(ع)

العادل : ٤٥
العادل ، ملك : ٩
عاذ يمون : ٩٣
عباسة : ٥٩
عبد الله ، موفق الدين : ٣٥
العبدلاوي ، البطيخ : ٧٧
العبدري : ٢٩
العجوة : ٧٥
العراق : ٢٨ ، ٦١ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٨ ،
١١٢ ، ١١٧
العزير عثمان بن يوسف : ٩٤
عسألان : ٦٤
عقص : ٢٢
عكا : ٤١ ، ٤٢
عكلة : ١٤٩
علاء الدين داود بن بهرام : ٤٦
علم الاغذية : ٢١
علم الصيدلة : ٢١
على بن رضوان : ٧٠
العماد الكاتب الاصبهاني : ١٠
عمى بن الخطاب : ٩٨

ذيقباز بن كيخسرو : ٤٦
الكيمياء : ٣٩ ، ٤١

(ل)

الليخ : ٦٢ ، ٦٣
اللثا : ٦٦
لجاة : ٨٨
اللويبا : ٦٠ ، ٧٧
اللوزة : ٦٢ ، ٧٩ ، ١١٩
الليمون : ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٩ ، ١١٩

(م)

ماء ورد : ١٢١
الماش : ٧٦
المتنبي : ٣٦
المرج : ٧٦
المجوس : ١١٢
المدائن : ١١٢
المريس ، رياح : ٥٩
المريس : ٥٩
المستنصر بالله ٤٨
مسجد الغفرية : ٣٧
مسك : ١٢١
المسلة : ٩٧
المسيد : ٥٩
المصطكى : ١٢٠
المغرب : ١٣٠
المفرجية : ٥٩
المقامات : ٣٦
المقدس : ٣٥
المفسى : ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٩
المطعم : ٥٩ ، ٩٠
مكة : ٩٤
الملاح : ١١٧
ملطية : ٤٦
الملوخية : ٦١
المماليك : ٩

الفتد ، الخيار : ٧٧

العشاء : ٦٠

القدس : ٤١

قدور الهراس : ١١٥

الذبران : ٣٥ ، ٣٦

القراءات : ٣٥

قراجا : ٩٨

القراسيا : ٧٩

قراقوش : ٨٩

القرط : ٧٥

القرظ : ٢٢ ، ٧٦

الغرفة : ١٢٠

القرم : ٢٩

القروينى ، الرضى : ٣٩

القسب : ٧٥

القسط : ٦٨

المسطنطينية : ٢٩

المطران : ٢٧

المقزم : ٨٥ ، ٩٥

القلعة : ٩٠

القلقاس : ٢٢ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢

قمولة : ٥٩

قوص : ٢٨ ، ٥٩ ، ١١٠ ، ١٤٧

القولنج : ٢٦

(لك)

الكاتب ، عماد الدين : ٤١

الكتان : ٨٠

كرانشوفسكى : ٢٧

الكرخى ، ابن عبيدة : ٣٨

كرديستان : ٢٩

الكزبرة : ١٢٠

الكعبة : ٩٤

الكلف : ٢٧

الكمثرى : ٧٩

الكمهون : ٢٧ ، ١٢٠

هرماس : ١١ ، ١٢ ، ١٦ ، ١٧ ، ٩٣

هرميس

انظر هرماس

هرميس

انظر هرماس

الهروى : ٢٨

هريسة : ١١٩

الهرالية : ١٤٤

الهند : ٢٩ ، ٧٤ ، ٩٣

(و)

الورد : ٧٨

الوردية : ١١٩

الورل : ٨٥

الوكيل : ٣٥

(ى)

اليازورى : ١٤٦

الياسمين : ٧٨

يقطنين : ٧٨ ، ١١٩

اليمن : ٦٧ ، ١٣٠

ينطوالميس : ٨٦

اليهود : ٢٤ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١١٢ ، ١٤٦

منف : ٥٩ ، ٩٩ ، ١١٤

الموز : ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٣

موسى بن حيمون : ٤٢

الموصل : ٤٠ ، ١٤٠

(ن)

نابلس : ١١ ، ١٤٨

النارنج : ٧١ ، ٩٤

الناصر صلاح الدين : ٤٥

النبق : ٧٩

نجد : ٦٧

النرجس : ٦٩

النصارى : ٢٤

نوح (عليه السلام) : ٩٤

النبيذة : ١١٨ ، ١٢٣

نيقولاوس : ٦٣

النيل : ٢٧ ، ٣٠ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ١٢٥ ،

١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ،

١٤١ ، ١٥٢

نيمرثت : ٨٦

(ه)

الهال : ١٢٠

اقرأ في هذه السلسلة

جوزيف دامرس
سبع معارك فاصلة في التصور
الوسطى

د. لينوار تشامبرز رايت
سياسة الولايات المتحدة
الأمريكية أراء مصر

د. جون شستندر
كيف تعيش ٣٦٥ يوماً في
السنة

بيير البيير
المصفاة

د. غريال ودية
اثر الكوميديا الالهية لدالتي
في الفن التشكيلي

د. رمسيس عوض
الاحب الروسي قبل الثورة
الباشيكية وبعدها

د. محمد نعمان جلال
حركة عدم الانحياز في عالم
متغير

فرانكلين ل. ياومر
الفكر الأوربي الحديث ٢ ج

شوكوت الربيعي
الفن التشكيلي المعاصر في
الوطن العربي

د. مصطفى احمد حسين
التشقة الأسرية والإثناء الصغار

ج. دنانو اندرو
نظريات الفيلم الكبرى

جوزيف كونراد
مقارنات من الأدب القصص

د. جومان دورهنر
الحياة في الكون كيف نشأت
وأي توجود

طاقفة من العلماء الأمريكيين
مبادأة الدفاع الإستراتيجي
حرب الفضاء

د. السيد خليفة
إدارة الصراعات الدولية

د. مصطفى عناني
الميكروكمبيوتر

مجموعة من الكتاب اليابانيين الدسام
والمنبتين

مقارنات من الأدب الياباني
« الضمى - الدواها - الضكابة -
القصبة القصيرة »

بيل شول واينيت
القوة النفسية للأفهام

د. صفاء خلوصي
فن الترجمة

والف تي ماثو
تولستوى

فكتور برومبير
سلطال

فيكتور هوجو
رسائل واحاديث من الملقى

فيلز هيرنبورج
الجزء والكل « مساورات في مضمار
الفيزياء الثرية »

سنلى هوله
الغراث الغامض - ماركس
والماركسيون

ف. ع. ادينكرف
فن الادب الروائي عند تولستوى

هادى نعمان الهيتي
ادب الاطفال « فلسفته ، فنونه
وسائله »

د. نعمة رحيم المزراي
احمد حسن الزيات كاتباً وثاقداً

د. فاضل احمد الطائي
اهلام العرب في الكيمياء

جلال العشرى
فكرة المسرح

مدرى ياريسو
الجسيم

السيد عبوة
صنع القرار السياسي في
مؤسسات الإدارة العامة

جاكوب برونولسكى
التطور الحضارى للإنسان

د. روجر ستروجان
هل تستطيع تعليم الاطفال
الانفعال ؟

كاتبى ثير
تربية النواجن

١٩ سبنسر
الموتى وعالمهم في مصر
القيمة

ناعوم بيتروبيتش
التمل والطب

برتراند رسل
أعلام الامم وقصص اخرى
١٠ رادو نكاياوم حابوتسكى
الاكترونيكات والحياة الحديثة

ألس مكسلى
لقطة مقابل لقطة

ت. و. فريمان
الجغرافيا في مائة عام

رايموند وليامز
المقالة والمجتمع

د. ج. فريس و١٠ ج. ديكنستر هوز
تاريخ العلم والتكنولوجيا
٢ ج

لبيترديل راى
الارض الغامضة

والتر ائن
الرواية الإنجليزية

لويس فارجاس
المشهد الى فن المسرح

فرانسوا دوما
كلية مصر

د. قدرى حفنى واحرون
الاشاع المصرى على الشاشة

أريج فولكف
القاهرة مدينة الف ليلة وليله

ماشم النحاس
الهوية القومية في السينما

ديفيد وليام ماكروال
مجموعات النقود - ميانتها
كصنيتها - عرشها

عزيز الخوان
الموسيقى صبير لغوى وعنطق

محسن جاسم الموسوى
عصر الرواية

ديلان توماس
مجموعة مقالات نقدية

جون لويس
الاهسان ذلك الكائن الفريد

جول ويست
الرواية الحديثة - الإنجليزية
والفرنسية

د. عبد المحطى شعمرارى
المسرح المصرى المعاصر
اصله وديالته

نور الهداوى
على محمود طه الشاهس والاشمان

- ب' كوملان
الاساطير الاغريقية والرومانية
- د' توماس ا' هاريس
التوافق النفسى - تحليل
المعاملات الانسانية
لجنة الترجمة ،
المجلس الاعلى للثقافة
الدليل البيولوجى فى
روائع الاداب العالمية ج' ١
- روى آرمن
لغة الصورة فى السينما المعاصرة
- ناجى متديو
الثورة الاصلاحية فى اليابان
- بول هاريسون
العالم الثالث هذا
- ميخايل المي وچيمس لفلوه
الانقراض الكبير
- آدامز فيليب
دليل لتنظيم المناهج
- فيكتور مورجان
تاريخ القود
- محمد كمال اسماعيل
التحليل والتوزيع الاوروكستراى
- ابو التاسم الفردوسى
الشاهامة ٢ ج
- بيرتون بورتر
الحياة الكريمة ٢ ج
- جاك كرابس جوديون
كتابة التاريخ فى مصر القرن
التاسع عشر
- محمد فؤاد كرو ، اى
قيام الدولة الامنية
تولى بار
التمثيل للسينما والتلفزيون
تاجور ، شين بن بنج وآخرون
مختارات من الاداب الاسيوية
- ناصر خسرو على
سفرنامه
- نادين حورديمير زحريس اوجوت
واخرون
سقوط المطر وقصص اخرى
- احمد محمد الشنولى
كتب غيرت الفكر الانسانى
ج' ٧
- جان لويس بورى وآخرون
فى النقد السينمائى الفرنسى
- العشاقون فى اذربا
بول كولز
- روى دويرسون
الهيرويون والايديز واثرهما فى
المجتمع
- دور كاس ماكلينتوك
صور افريقية - نظرة على
حيوانات افريقيا
- هاشم التحاس
تجيب محفوظ على الشاشه
د' محمود سرى طه
- الكومبيوتر فى مجالات الحياة
- بيتر لورى
المخدرات حقائق نفسية
- دوريس فيدوروفيتش سيرحيف
وطائف الاعضاء فى الالف
اليام
- ويليام بينز
الهندسة الوراثية للجميع
- ديفيد الدرنتون
تربية اسماك الزينة
- احمد محمد الشنولى
كتب غيرت الفكر الانسانى
- جون ' ر' بورر وميلتون حرلدنجر
الفلسفة وقضايا العصر ٢ ج
- ارنولد توينبى
الفكر التاريخى عند الاغريق
- د' صالح رضا
ملاحج وقضايا فى الفن
التشكيلى المعاصر
- م' ه' كنج وآخرون
التغذية فى البلدان النامية
- جورج جاموف
هداية بلا نهاية
- د' السيد طه السيد ابو سديرة
الحرف والصناعات فى مصر
الاسلامية منذ الفتح العربى
حتى نهاية العصر الفاطمى
- جاليليو جاليليه
حوار حول النظامين الرئيسيين
للكون ٣ ج
- اريك موريس والان مر
الارهاب
- سيرل الديريد
اخطائون
- ارثر كيستلر
القبيلة الثالثة عشرة ويهود
اليوم
- جابريل باير
تاريخ ملكية الاراضى فى مصر
الحديثة
- انطونى دى كرسينى وكينيث مينوج
اعلام الفلسفة السياسية
المعاصرة
- دوايت سوين
كتابة السيناريو للسينما
- زافيلسكى ف' س
الزمن والقياسه (من جزء من
البيليون جزء من الثانية وحتى
مليارات السنين)
- مهندس ابراهيم القرضاوى
اجهزة تكييف الهواء
- بيتر رداى
الخدمة الاجتماعية والاضطباط
الاجتماعى
- حوريف داموس
سبعة مؤرخين فى العصور
الوسطى
- س' م' بورا
التجربة البيونانية
- د' عاصم محمد رزق
مراكز الصناعة فى مصر
الاسلامية
- رونالد د' سمپسون ونورمان د'
اندرسون
العلم والطلاب والندارس
- د' اتور عبد الملك
الشارع المعمرى والفكر
- ولت وثمان روستو
حوار حول التنمية الاقتصادية
- فرد ' س' هيس
تبسيط الكيمياء
- جون لويس بوركهارت
العادات والتقاليد المصرية
من الامثال الشعبية فى عهد
محمد على
- الان كاسبيار
التذوق السينمائى
- سامى عبد المعطى
التخطيط السياحى فى مصر
بين النظرية والتطبيق
- فريد هويل وشاندرا ويكراما سينج
البنود الكونية
- حسين حلمى المهندس
دراما الشاشه (بين النظرية
والتطبيق) السينما والتلفزيون
ج' ٢

- موريس بير براير
صناع الخلود
- زوجمونت ميز
جماليات فن الاخراج
- جوناثان ريلى سميت
الحملة الصليبية الاولى وفكرة
المرحوب الصليبية
- الفريد ج. بتر
الكنائس القبطية القديمة فى
مصر ٢ ج
- ريتشارد شاخات
رواد الفلسفة الحديثة
- ترانيم زرادشت
من كتاب الأستنا المقدس
- الحاج يونس المصرى
رحلات فارثيما
- هربرت ثيلر
الاتصال والهيمنة الثقافية
- برتراند راسل
السلطة والفرق
- بيتر نيكولمز
السينما الخيالية
- ادوارد ميرى
عن النقد السيميالى الأمريكى
- نفتالى لويس
مصر الرومانية
- ستين اوزمنت
التاريخ من شتى جوانبه ٣ ج
- موتى براج وآخرون
السينما العربية من الخليج الى
المحيط
- فانس بكارد
انهم يصنعون البشر ٢ ج
- جابر محمد الجزائر
ماستريخت
- د. ابرار كريم الله
من هم المتقار
- ح. س. فريزد
الكتائب الحديث وعالمه
٢ ج
- سوريل عبد الملك
حديث الالف
من روائع الآداب الهندية
- لوريتو تود
مدخل الى علم اللغة
- اسحق عظيموف
الشموس المتفجرة
أسرار السوبر ثوقا
- مارجريت روز
ما بعد الحداثة
- د. بيارد نودج
الأزهر فى الف عام
- ستين رانسيان
الحمالات الصليبية
- ه. ح. واز
معالم تاريخ الإنسانية
٤ ج
- جوستاف جرونيباوم
حضارة الاسلام
- د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ
رحلة بيروت الى مصر والحجاز
٣ ج
- جلال عبد الفتاح
الكون ذلك المجهول
- أرتولد جزل وآخرون
الطفل من الخامسة الى العاشرة
٢ ج
- بداى اوتيومو
افريقيا - الطريق الآخر
- د. محمد زينهم
فن الزواج
- برنسلو مالىنوفسكى
قيصر العلم والدين
- ادم متز
المضارة الاسلامية
- فانس بكارد
انهم يصنعون البشر
- عبد الرحمن عبد الله الشيخ
يوميات رحلة فاسكو دا جاما
- ايفرى شاتومان
كولتا المتعدد
- سوتدورى
الفلسفة الجوهرية
- مارتن فان كريفلد
حرب المستقبل
- فرانسيس ج. بروجين
الامام التتحيلى
- عبد مياشر
البحرية المصرية من محمد على
للمسادات
- ح. كارفيل
تبسيط المفاهيم الهندسية
- توماس لبيهارت
فن الانب والبانثوميم
- ادوارد دودونو
التنكير المتجدد
- ويليام ه. مانيز
ما هى الجيولوجيا
- كريستيان ساليه
السيطاريو فى السينما الفرنسية
- بول راون
حقايا نظام النجم الأمريكى
- حورج ستايلر
بين تولستوى ودوستوفسكى
٢ ج
- يانكر لافرين
الرومانتيكية والواقعية
- محمود سامى مطا الله
الفيلم التتسيلى
- جوزيف بتس
رحلة جوزيف بتس
- ستانلى جيه سولومون
الواع الفيلام الأمريكى
- هارى ب. ناش
الصحور والبيض والسود
- جوزيف م. بوجز
فن القرعة على الألقام
- كريستيان ديروش تونلكر
المرأة الفرعونية
- جوزيف يندمام
موجز تاريخ العلم والحضارة
فى الصين
- ليوناردو دافنتى
نظرية التصوير
- ت. ج. ه. جيمر
كوزو القرعة
- رودولف فون هايسبيرج
رحلة الامير رودولف الى الشرق
٣ ج
- مالكوم براندرى
الرواية اليوم
- وليم مارسدن
رحلة ماركو بولو ٣ ج
- هنرى بيرين
أريخ أوربا فى العصور الوسطى
- ديفيد شنيدر
نظرية الادب المعاصر وقراءة الشعر
- اسحق عظيموف
العلم وأفاق المستقبل
- رونالد دافيد لانج
الحكمة والحقون والحياة
- كارل بوبر
بعض عن عالم الفضل
- فرمان كلارك
الاقتصاد السياسى للمعلم
والتكنولوجيا

روبرت سكولز وآخرون المناقشات التي أقيمت في الشمال العلمي	ديفيد هولز كانت ملكة على مصر	السيد نصر الدين السيد اطلالات على الزمن الاتي
ب. س. ديهيز المفهوم الحديث للسكان والزمان	حمس هنري برستد تاريخ مصر	مسرح عطية البرنامج النووي الإسرائيلي والامن القومي العربي
س. هوارد الظهور الرحلات الى غرب افريقيا	يون داهير المناقشات الثلاث الاخيرة	ليوبوسكالنا الحب
و. بارتولد تاريخ التزاه في اسيا الوسطى	جوزيف وهاري فيلدمان دينامية الفيلم	ايغور ايفانس مجموع تاريخ الادب الانجليزي
فلاديمير تيمانينكو تاريخ اوروبا الشرقية	ج. كورنتو الخطابة الفيليقية	ميربرت ريد التربية عن طريق الفن
ابرييل جاجارسيا ماركيز الجنرال في المتسامية	ارنست كاسبرو في المعرفة التثنية	وليام بينز معجم التكنولوجيا الحيوية
هنري برنسون الفسحة	كنت ا. كنش رسميس الثاني	الفير تولز اصول السلطة ١٠ ج
مصطفى محمود سليمان الزلازل	جان بول سارتر وآخرون مختارات من المسرح العالمي	يوسف شرارة مشكلات القرن الحادي والعشرين والعلاقات الدولية
م. و. شراج شمس الهندس	يورالند وجانك بانسر الطفل المصري القديم	رولاند جاكسون الكيمياء في خدمة الانسان
١١ ج. جونز الصحفيون	نيكولاس مايد شولوكه هولز ميجيل دي ليبس الظفران	ت. ج. جيدر الحياة ايام الفراحة
ستيفن موسكاتر الخصائض السامية	جوسيف دي لونا موسوليني	جرج كاشمان الاذن للثقب الحروب ٢ ج
الهرت حوراني تاريخ الشعوب العربية	الويد جرايتز موسمارت	حسام الدين ركبيا التطور بروكتر
محمود لاسم الكتاب العربي المكتوب بالفرنسية	علي عبد الرؤوف النمبر مذبات من الشعر الإسباني	لورا ف. فوجل الحضرة اليابانية

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٣٠٠٠/١٩٩٨

ISBN — 977 — 01 — 5926 — 3

منز عصر الإغريق على أقل تقدير، ومصر مقصد للرحالة
من المشرق والمغرب،

وقد ترك لنا هؤلاء الرحالة صور نابضة بالحياة لمصر في تلك العصور
الغابرة، صورة تفضل في كثير من الأحيان كتابات المؤرخين لأنها تنقل
مشاهدات حية رآها الرحالة بأعينهم وتسجل العادات والتقاليد
والأنشطة الاجتماعية والاقتصادية وغيرها. وهي تفضل أيضاً كتب
التاريخ الرسمي لأنها تسجل وترصد بعض الجوانب من حياة الشعب
التي كثيراً ما أهملها المؤرخون التقليديون. ومن خير هؤلاء الرحالة في
العصر الوسطى عبد اللطيف البغدادي. وهو طبيب وعالم مسلم ولد في
بغداد وعاصر صلاح الدين الأيوبي، وعمل في خدمته في الشام،
ثم عمل في خدمة أدلاوه في مصر. وكتابه، على صفحته، هام لأنه يتميز
بنزعة علمية في الوصف والبحث كما يتضح من اسمه الإفاوة والاعتبار في
الأمر المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، وهو يبرأ
كتابه باستعراض لمواضع مصر العامة، ثم يعرض لنباتها وحيوانها، وقد
اهتم اهتماماً كبيراً بوصف الآثار الفرعونية التي يبدي أشد الإعجاب بها
ويسرد المعتقدات الشائعة حولها في عصره،
وقد انثر الكثير مما وصف بفعل الإهمال والتخريب، والتي نعرف حجم
خسارتنا، نطاق وصفه للآثار القائمة بمرئية عين شمس، حيث يقول إن بها
تمثيل كان ارتفاع الواحد منها يصل إلى ٣٠ ذراعاً،
أي حوالي ١٥ متراً، ويسجل أن بوابتها كانت لا تزال قائمة في عصره،
وقد اختفى كل ذلك اليوم. ولذا فقد باتت لهذا الكتاب أهمية كبيرة لدى
المعنيين بالدراسات المصرية القديمة.